المجلد السابع والعشرون للعام ٢٠٢٣م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

"المكانة العليَّة للموعظة السميَّة"
دراسةٌ بلاغيةٌ في القرآن الكريم

'The sublime status of the noble sermon'
A rhetorical study in the Holy Quran

بقلم الدكتورة

هدى كيلاني فريد محمد

مدرس بقسم البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
بنات ـ بني سويف ـ جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

الجزء الثالث (إصدار يونيو ٢٠٢٣م)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

"المكانة العليَّة للموعظة السميَّة" دراسةٌ بلاغيةٌ في القرآن الكريم

هدى كيلاني فريد محمد

قسم البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات ـ بني سويف ـ جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : Hudakelany58@gmail.com

الملخص

لقد قام الباحث من خلال بحثه بالكشف عن المكانة البلاغية للموعظة السمية في القرآن الكريم، وذلك لأهميتها البالغة ووردوها في القرآن الكريم في آياته وفي قصصه لأخذ العبرة والموعظة الحسنة.

ومن ثم فإن آيات القران الكريم تتطلب منا الوقوف بتأنٍّ وتمعن؛ لمعرفة الأساليب البلاغية والتي كان لها دورها في توضيح المعاني وبلوغ العبرة والموعظة.

ويمكن القول بأن هناك مجموعة من العناصر قد تساعد بشكل كبير في بلوغ الموعظة على سبيل المثال لا الحصر اللين في الخطاب، والشفقة في النصح، ومن ثَمَّ عندما نستعرض آية بها موعظة في القرآن الكريم ينبغي أن نتناول الأساليب البلاغية الواردة بها؛ وذلك للتعرف على مضمونها وبيان معانيها حتى يتسنى لنا الوقوف على سماتها البلاغية.

وذلك لأن القرآن الكريم كتاب الله وحجته الباقية الدامغة الذي اشتمل على كل ألوان الإعجاز وعلى رأسها الإعجاز البلاغي، وقد جعل الله سبحانه وتعالى القرآن منهج حياة لذلك اشتمل على الوعظ والإرشاد وأولاهما المنزلة الكبرى فكان لابد أن تأتي صورة الوعظ في قمة البلاغة والبيان، وكسا الله سبحانه وتعالى الموعظة بكل ألوان البلاغة، في آيات القرآن الكريم المتفرقة سواء كانت ترغيبا أو ترهيبًا، وقد خص سبحانه الموعظة في القرآن بخصائص بلاغية متعددة، منها: جزالة اللفظ بما فيه من التنوع اللفظي

والتنوع البياني، وكذلك براعة النظم، وجعلها كذلك بين دفتي الترغيب والترهيب، وزيَّن سبحانه وتعالى آيات الترغيب والترهيب بأجلِّ الصور البلاغية أمثال المقابلات، والاستعارات، سواء أتى الترغيب والترهيب في آية واحدة أو آيتين أو في العديد من الآيات، وقد بينا من خلال صفحات البحث أنه ما من ترغيبٍ في القرآن الكريم في أقوال أو أفعال إلا وهو يفوح بعطر البلاغة، وكذلك كل الآيات التي تحتوي على ألوان الترهيب المختلفة، وضربنا لذلك العديد من الأمثلة من خلال العديد من الآيات القرآنية التي تتوشح بالصور البلاغية.

الكلمات المفتاحية: مكانة رفيعة ، خطبة شريفة ، دراسة بلاغية ، القرآن الكريم.

'The sublime status of the noble sermon'

A rhetorical study in the Holy Quran

Huda kelany farid mohammud

Member of the teaching staff, Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies, Girls, Beni Suef,Egypt.

Email: Hudakelany58@gmail.com

Abstract

The researcher, through his research, revealed the rhetorical status of the poisonous sermon in the Holy Qur'an, due to its extreme importance, and it was mentioned in the Holy Qur'an in its verses and in its stories to take a lesson and good advice.

Hence, the verses of the Holy Qur'an require us to stand carefully and reflect; To know the rhetorical methods that had a role in clarifying the meanings and reaching the lesson and the sermon.

It can be said that there is a group of elements that may greatly help in reaching the sermon, for example, but not limited to softness in speech, and compassion in advice, and then when we review a verse with a sermon in the Holy Qur'an, we should address the rhetorical methods contained in it; In order to get acquainted with its content and clarify its meanings so that we can stand on its rhetorical features.

This is because the Holy Qur'an is the book of God and its remaining irrefutable argument, which includes all kinds of miracles, and on top of them is the rhetorical miraculousness. Exalted be He exalted is the sermon with all the colors of rhetoric, in the separate verses of the Noble Qur'an, whether it is an encouragement or an intimidation, and the Almighty singled out the sermon in the Qur'an with multiple rhetorical characteristics, including: the abundance of the utterance, including the

verbal diversity and the graphic diversity, as well as the ingenuity of the systems, and made it so between the two covers of intimidation and intimidation, And the Almighty adorned the verses of intimidation and intimidation with the sake of rhetorical images such as interviews and metaphors, whether the intimidation and intimidation came in one verse or two verses or in many verses, and we have shown through the pages of research that there is no incitement in the Holy Qur'an in words or actions except that it smells of perfume Rhetoric, as well as all the verses that contain different colors of intimidation, and we gave many examples for that through many Quranic verses that are covered with rhetorical images.

Keywords : sublime status, noble sermon, rhetorical study, the Holy Quran .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

خلق الله تعالى الإنسان، ورسم له طريق الحق والصواب، وأرسل الهداة وحذر من الوقوع في الضلالة والخسران، فأقام الحجة على الخلق أجمعين، {ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} فمن عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها، وأعد الله للصالحين المغانم الكثيرة في الدنيا والآخرة وللعاصين الحسرة والعذاب، وكذلك إرسال الهداة، فقد جعل الله الهداية والوعظ والإرشاد من ضرورات الدين وموجباته؛ لإنقاذ بني البشر من براثن الجهل والضلال، ووصف الأمة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر وتأمر بالعدل والإحسان بخير الأمم، ومن ثمَّ فقد بينت الآيات القرآنية أهمية الموعظة وأثرها وعاقبة من لم يعمل بها.

ولعل الناظرَ في البحوث والدراسات التي تناولت العديد من جوانب البلاغة القرآنية للموعظة الحسنة في القرآن الكريم يرى أنها لا تعدو إلا أن تكون قطرة صغيرة من قطرات بحر القرآن الكريم.

ومن هنا كانت الحاجة الملحَّةُ للكشف عن المكانة البلاغية للموعظة السمية في القرآن الكريم، حيث إن الموعظة السمية قد جاءت في القران الكريم في آياته وفي قصصه؛ لأخذ العبرة والعظة، ومن ثم فإن آيات القران الكريم تتطلب منا الوقوف بتأنٍّ وتمعُّنٍ؛ لمعرفة الأساليب البلاغية والتي كان لها دورها في توضيح معاني الموعظة في القرآن الكريم.

ومن المُلاحظ أن آيات القرآن الكريم إضافة إلى ما اشتملت عليه من تشريع وتوجيه وإرشاد، فهي تعتبر مدرسة في البلاغة والبيان، وهذا البيان هو البدر الساطع والبحر الزاخر والكنز الوافر، ولذلك فقد كانت الأساليب

البلاغية هي خير دليل على بيان وتوضيح مضمون المعاني والتراكيب في آيات القران الكريم.

ويمكن القول بأن هناك مجموعة من العناصر قد تساعد بشكل كبير في بلوغ الموعظة، منها على سبيل المثال لا الحصر: اللين في الخطاب، والشفقة في النصح، وبذلك أن يكون الواعظ ليِّنًا في الخطاب، فقد كان النبي الأكرم محمد –صلى الله عليه وآله– ليُّنُ الكلام، بشوش الوجه، "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ"، وعندما أرسل الله النبي موسى وهارون –عليهما السلام– إلى فرعون، أمرهما باللين، فقال: "فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى"، ومن ثَمَّ فإننا عندما نستعرض آيات الموعظة في القرآن الكريم ينبغي أن نكشف اللثام عن قيمتها البلاغية.

إشكالية الدراسة:

ترتكز إشكالية هذه الدراسة حول تساؤل ما هي مكانة الموعظة السمية في سياق آيات القرآن الكريم في ظل بيان الأساليب البلاغية التي توضح وتبرز المعاني الدلالية للموعظة في ضوء آيات القرآن، والتي جعلتها تحظى بالاهتمام، ومن ثمَّ تمثلت إشكالية الدراسة في طرح العديد من التساؤلات، ومنها:

١– ما القيمة البلاغية للموعظة السمية في القرآن الكريم؟

٢– ما مفهوم الموعظة السمية في ضوء آيات القرآن الكريم؟

٣ – ما أهمية الموعظة الحسنة التي جاءت في آيات القرآن الكريم؟

أسباب اختيار البحث:-

١- لمَّا كان أبرزُ وجوه إعجاز القرآن بيانه وسحره الفني، فقد رغبت في دراسة مكانة الموعظة السمية في آيات القرآن الكريم، ومن ثمَّ بيان ما لتلك الدراسة لها من الأهمية الكبيرة التي توضح المعاني الجلية لآيات الذكر الحكيم.

٢- تنوعت وتعددت الأساليب البلاغية التي سيقت بها الموعظة في آيات الذكر الحكيم والتي جاءت ميادينها في القرآن، الأمر الذي دفعني لاختيار هذه الدراسة.

أهداف البحث-:

١- الوقوف على الخصائص البلاغية للموعظة في القرآن الكريم التي كان لها من الأهمية الكبيرة في توضيح المعاني والإقناع بها.

٢ - الدعوة إلى الأخذ بالموعظة الحسنة من آيات القرآن الكريم.

٣ - بيان أهمية الموعظة الحسنة التي جاء بها القرآن الكريم .

٤-إلقاء الضوء على بعض نماذج الموعظة الحسنة في آيات القران الحكيم؛ لانتهاج نهجها والسير على خطاها.

منهج البحث-:

المنهج الوصفي التحليلي من خلال تحليل آيات القران الكريم تحليلاً بلاغيًّا مشتمِلاً على فنون البلاغة وعلومها، إلى جانب رصدها ومناقشتها بما ورد عند العلماء.

خامسا: الدراسات السابقة-:

هناك بعض الدراسات التي تحدثت عن الموعظة الحسنة-:

١ – دراسة بحثية بعنوان: "الصور البلاغية في المواعظ النبوية"، دراسة بلاغية تحليلية نادية خميس على الحناوي، المجلد الثالث من العدد السادس والعشرين لحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، بدون تاريخ نشر، وقد تناولت هذه الدراسة بيان الأحاديث الشريفة التي تناولت الموعظة الحسنة من الأحاديث المنتقاة من السنة الصحيحة.

٢ – دراسة موضوعية بعنوان: "الموعظة في ضوء القصص القرآني"، مرفت محمد أحمد حماد، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية – غزة، عام ٢٠١٥، وقد تناولت تلك الدراسة مفهوم الموعظة والقصة في القصص القرآني مع بيان أنواع القصص القرآني، وكذلك بيان أساليب الموعظة مع ذكر بعض النماذج من القرآن الحكيم.

٣ –دراسة بعنوان: "الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة"، أحمد نافع سليمان المورعي، رسالة ماجستير، ط١، دار الأندلس الخضراء، عام ١٤١٨ه/ ١٩٩٧م، تناول الباحث في تلك الدراسة تعريف الموعظة الحسنة في اللغة واستعمالات القرآن، وبيان المراد ببيان مواطن الموعظة الحسنة، مع ذكر النماذج، وضرب الأمثلة عليها من الكتاب، والسنة.

هيكل الدراسة-:

لقد تطلبت خطة الدراسة أن تأتى في مقدمة، وتمهيد يتم فيه إلقاء الضوء على أهم مفردات البحث، وأربعة مباحث:

المبحث الأول: الموعظة السمية في آيات الترغيب، والذي تم تقسيمه إلى مطلبين:

المطلب الأول: الترغيب في أعمال القلوب.

المطلب الثاني: الترغيب في الأعمال والأقوال الصالحة.

المبحث الثاني: الموعظة السَّميَّة في آيات الترهيب، وهو عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: الترهيب من بعض المعاصي المتعلقة بالقلوب.

المطلب الثاني: الترهيب من تناول الحرام وأهوال النار.

المبحث الثالث: العلاقة البلاغية بالموعظة السمية

المبحث الرابع: الخصائص اللغوية والبلاغية للموعظة في القرآن الكريم، وهو عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: جزالة اللفظ.

المطلب الثاني: براعة النظم.

ملخص البحث

تمهيد

تتضح أهمية تحديد المفاهيم والمصطلحات كلما تنبهنا إلى ضـــرورة تحديد الأرضية الثقافية والفكرية التي ينبغي الوقوف عليها، ومن الثابت الذي لا يقبل المراء أنَّ مفاتيح العلوم مصطلحاتها، بمعنى أن المصطلح يوضع لكي يحمل مفهومًا محددا في حقل علمي معين؛ ليساعد في التعامل مع قضايا هذا العلم ومضامينه على نحو يتسم بالوضوح والدقة.

ومن هنا كان لا بد أن نبدأ بتعريف الموعظة حتى يتم السير في هذا البحث بطريقة بنائية تصاعدية نستطيع من خلالها أن نتدرج في البنـــاء دون إهمال للأساس، مع الأخذ في الاعتبار أننا كلما ابتعدنا في الصفحات تكـــون البداية في مخيلتنا، فلا نحيد عن الدرب، ويحدث بذلك الترابط بين موضوعات البحث.

أولاً: تعريف الموعظة لغة واصطلاحا:

تعريف الموعظة لغة:

تناول علماء اللغة الموعظة بتعريفاتٍ مختلفةٍ تدور كلها حول الترغيب والترهيب.

الموعظة في اللغة: أصلها من الفعـــل الثلاثـــي: (وَعَـــظَ)، والاســـم: (الموعظة) وهو (واعظ) والجمع (وُعَّاظْ).

قال ابن فارس: "الوعظ والعين والظاء كلمة واحدة؛ الوعظ التخويـــف، والعظة الاسم منه"[١]

١-أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد الســـلام محمـــد هـــارون، الناشـــر: دار الفكر،١٣٩٩هـــ- ١٩٧٩م ١٢٦/٦.

وقال الفراهيدي: العظة: الموعظة، وعظت الرجل: أَعِظه عِظَة، وموعظة، واتعظ: تقبل العِظة وهو تذكيرك إياه الخير، ونحوه مما يرق له قلبه[١].

وقال ابن منظور: "الوعظ والعظة والموعظة: النصح والتذكير بالعواقب.

وقال ابن سيدة: "هو تذكير كل إنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب"[٢].

وقال الراغب الأصفهاني: "الوعظ زجرٌ مقترن بتخويف، قال الخليل: هو التذكير بالخير فيما يرق لها القلب"[٣].

وقال الفيروز آبادي: "وعظه يعظه، وعظًا وعظة وموعظة: ذكره ما يلين قلبه من الثواب والعقاب فاتعظ"[٤].

وقال الأزهري: قال الليث: العظة: الموعظة، وكذلك الوعظ، والرجل يتّعظ إذا قَبل الموعظة حين يذكَّرُ بالخير ونحوه، مما يرقُّ لذلك قلبه، يقال: وعظته عظة، ومن أمثالهم المعروفة: "لا تعظيني وتَعَظْعَظي" أي اتعظي ولا تعظي.

قلت: وقوله: تعظعظي وإن كان كمكرّر المضاعف، فإن أصله من الوعظ، كما قالوا: خضخض الشّيْءَ في الماء وأصله من خاض[٥].

١- الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي و د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، ٢ /٢٢٨.

٢- ابن منظور، لسان العرب، ٤٦٦/٧.

٣- الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، الناشر: دار القلم - الدار الشامية، ١٤٣٠ - ٢٠٠٩ ص ٥٦٤.

٤- محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت،٩٠٣/١.

٥- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠١م، ٩٣/٣.

وقال الرازي: الوعظ: هو النصح، والتذكير بالعواقب، وقد وعَظه (من باب وعَد، وعِظة أيضًا بالكسر) فاتعظ أي: قبل الموعظة يقال: السعيد من وُعظ بغيره والشقي من اتعظ به غيره[١].

وقال المقري: وعظه يعظه وعظًا وعظة، أمره بالطاعة، ووصاه بها، وعليه قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ ﴾ سبأ: آية٤٦، أي: أوصيكم وآمركم، فاتعظ أي: ائتمر وكف نفسه[٢].

وقال الزبيدي: وعظه يعظه وعظًا وعظة كعدة، وموعظة: ذكره ما يلين قلبه من الثواب والعقاب، فاتعظ به، وفي الصحاح: الوعظ: النصح والتذكير بالعواقب.

والاتعاظ: قبول الموعظة، يقال: السعيد من وعظ بغيره والشقي من به اتعظ.

قلت:-أي الزبيدي- والجملة الأولى منه حديث، وتمامه: «والشقيُّ من شقي في بطن أمه»[٣].

١- محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ /١٩٩٥م، ١/ ٣٠٣.

٢- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، ، ٢ / ٦٦٥- ٦٦٦.

٣- موقوف على ابن مسعود رضي الله عنه، رواه مسلم، كتاب القدر، باب: كَيْفِيَّةِ الخلق الْآدَمِيِّ في بطْنِ أمِّهِ وكِتَابَةِ رزْقِهِ وأَجَلِهِ وعَمَلِهِ وشَقَاوَتِهِ وسَعَادَتِه، ٢٠٣٧/٤، برقم ٢٦٤٥ ، ورواه ابن حبان، كتاب التأريخ، باب: بدأ الخلق، ٥٢/١٤، ورُوي ضمن حديث آخر عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا عند ابن ماجه، باب اجتناب البدع والجدل، ١٨/١، رقم الحديث ٤٦ ، لكن فيه جهالة راوي، وعنعنة أبي إسحاق، وقد حكم عليه الألباني بالضعف، انظر ضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث ٣ .

وفي حديث آخر: «لأجعلنك عظــة»[١]، أي: موعظة وعبرة لغيــرك، والهاء في العظة عوض عن الواو المحذوفة[٢].

وتأتي الموعظة أيضا لمعانٍ متعددة: التخويف والزجر، التذكير بالخير وما يرق له القلب ويلينه، النصح والتذكير بالعواقب، الأمر بالطاعة والوصية بها.

تعريف الموعظة اصطلاحاً:

عرف العلماء الموعظة في الاصطلاح بعدة تعريفاتٍ، منها:

عرفها ابن القيم-رحمه الله- بأنها: الأمر والنهي المقرون بالترغيــب والترهيب[٣].

وعرفها البيضاوي-رحمه الله- بأنها: الخطابــات المقنعــة، والعبــر النافعة، فالأولى لدعوة خواص الأمة الطــالبين للحقــائق، والثانيــة لــدعوة عوامهم[٤].

يتضح من خلال هذا التعريف: أن دعوة الناس تكون على قدر عقولهم، ومستوياتهم بالكلمات الواضحة البينة، والعبر النافعة المقنعة، والدليل الموضح للحق، المزيل للشبهة على وجه لا يخفى على الناس وجه الحق فيه أو يلتبس.

يؤخذ على عبارة (الخطابات المقنعة) أن الأليق بها أن تكون للجــدال، وليس للموعظة.

١- رواه مسلم، كتاب الأدب، باب: الاستئذان، ١٦٩٥/٣، رقم الحديث ٢١٥٣.

٢- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة مــن المحققين، دار الهداية ٢٨٩/٢٠.

٣- ابن القيم، التفسير القيم، جمعه: محمد أويس الندوي، تحقيق محمد الفقي، ط ٢، دار الكتــب العلمية بيروت، ١٤٢٣ هــ، ص٣٤٤.

٤- البيضاوي، تفسير البيضاوي، دار الفكر، بيروت، ٤٢٦/٣.

وعرفها الجرجاني–رحمه الله– بأنها: التي تلين القلوب القاسية، وتدمع العيون الجامدة، وتصلح الأعمال الفاسدة[١].

وعرفها محمد رشيد رضا –رحمه الله–بأنها: اسم من الوعظ أي: الوصية بالحق والخير، واجتناب الباطل والشر، بأساليب الترغيب، والترهيب التي يرق لها القلب، فتبعث على الفعل والترك[٢].

يتبين من خلال التعريفين السابقين: أن دعوة المدعوين وتوجيههم يكون بأسلوب مشتمل على وعظٍ حسنٍ يحرك القلوب، برفق ولين حتى الوصول إلى الهدف بحيث تزكو النفوس، وتطهر من الآفات.

وهنا لابد من بيان أنه لم ترد الموعظة السمية في القرآن الكريم ولا في أدبيات اللغة بهذه التركيبة اللغوية، وإنما أتت الموعظة مقترنة بالحسنة وأحياناً مسبوقة بالهدى، ولا ضير ولا تعارض كونها تأتي بالإضافة إلى السمو فكلاهما من مكملات الغرض.

تعريف الموعظة السمية دعوياً:

في الغالب لا تكون الموعظة إلا في مجال الدعوة، وبناء على ذلك ومن باب إتمام الفائدة نعرف الموعظة السمية في الاصطلاح الدعوي، حتى يتم الربط بينها وبين عنوان البحث "المكانة العلية للموعظة السمية دراسة بلاغية في القرآن الكريم".

وعرفها عبد الرحمن الميداني بأنها: "الترغيب بالعاقبة الحسنة، والسعادة الخالدة لمن اتبع سبيل ربه، والترهيب من العاقبة السيئة الوخيمة، والشقاوة

١- الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥ه، ص:٣٠٥ .

٢- محمد رشيد علي رضا، تفسير المنار، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م، ٣٢٨/١١.

والتعاسة لمن أبى أن يتبع سبيل ربه، بشرط عرضها بأسلوبٍ حسنٍ جميلٍ مقبولٍ لا تنفر منه الطباع السوية"[١].

وفى ذات السياق عرفها علي محفوظ بأنها: "النصح والتذكير بالخير والحق، على الوجه الذي يرق له القلب، ويبعث على العمل"[٢].

وعرفها عبدالرحيم المغذوي بأنها: "نصحٌ وتذكيرٌ مقترنٌ بتخويفٍ وترقيقٍ"[٣].

وعرفها سعيد القحطاني بأنها: "الأمر والنهي المقرونان بالترغيب والترهيب، والقول الحق الذي يلين القلوب، ويؤثر في النفوس، ويكبح جماح النفوس المتمردة، ويزيد النفوس المهذبة إيماناً وهداية[٤]، وعرفها أحمد المورعي بأنها: الكلام الذي يرقق القلوب ويلينها"[٥].

من خلال التعاريف السابقة تبين أن الموعظة السمية هي: التي يكون مضمونها قائمًا على الخير والنصح، ويراد من ذلك أن ترغب النفوس في طاعة الله تعالى، وترهب من معصية الخالق سبحانه، وأن تعرض بأسلوب حسن لين، بعيد عن الغلظة والمخاشنة والألفاظ البذيئة.

١- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، فقه الدعوة إلى الله، ط٢،: الناشر: دار القلم، دمشق، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ٦٠٩/١.

٢- علي محفوظ، هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، ط٧، الناشر: مصر للطباعة، ١٣٩٥هـ، ص:٨٢.

٣- عبدالرحيم محمد المغذوي، الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، ط٢، الناشر: دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م ص:٧١٥ .

٤- سعيد علي وهف القحطاني، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، ط٤، توزيع مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض،١٤٢٥ه، ص:٧٥٧ .

٥- المورعي، الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة، جامعة أم القرى،١٤٠٦ه،٢٥٣ .

المبحث الأول:

الموعظة السمية في آيات الترغيب

جعل القرآن الكريم شعارة الأساس ومؤشر دعوته الارتكاز على جانب الترغيب وجعله شعار دعوته، فأكثر من آيات الترغيب التي تبث الأمل وتبعث على التفاؤل بين ثنايا دفتي كتابه الكريم حتى لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن العظيم من الكثير من الآيات التي تحث على الترغيب، ومن الملفت أن هذه الآيات جاءت مليئة بالموعظة السمية التي تتألق وتتنمق بالصور البلاغية المتنوعة التي تزيد الموعظة تألقا وجمالا.

ومن باب الإحاطة والشمول أننا يجب علينا عندما نتناول الموعظة السمية في آيات الترغيب في هذا المطلب من الدراسة أن نشير إلى الترغيب في أعمال القلوب في المطلب الأول، ثم نتناول بعد ذلك الترغيب في الأعمال والأقوال الصالحة كمطلب ثاني، وذلك على النحو التالي:

المطلب الأول: الترغيب في أعمال القلوب.

المطلب الثاني: الترغيب في الأعمال والأقوال الصالحة.

المطلب الأول

الترغيب في أعمال القلوب

سأبدأ بهذا المطلب الذي عنونت له بأعمال القلوب لأن القلوب إذا صفت استقامت الأعضاء، القلب ملك الجوارح وراعيها وقائدُها، والجوارح والحواس تبع له وآلات تصدع بأمرِه، وهي تحت سيطرته وقهرِه، ومنه تكتسب الاستقامة أو الزيغ، يقول –صلّى الله عليه وسلم–: "أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ[١].

وهو أرقّ أعضاء الجسم وأسرعها تأثّرًا بما يحيط به ويغشاه، ومن رِقّته أَن تُؤَثِّر فيه أدنى خاطرة وأقلّ موعظة، وقبل أن أبدأ بأعمال القلوب لابد وأن أشير إلى تعريف الترغيب وأهميته، فهو مناط هذا المطلب.

أولاً: تعريف الترغيب وأهميته:

الترغيب لغة:

يرجع أصل كلمة الترغيب إلى الفعل الثلاثي (رغب)، ويأتي هذا الفعل على معنيين:

الأول: الإرادة، يقول الراغب الأصفهاني: «والرّغبة والرّغب والرّغبى: السّعة في الإرادة»[٢]، يقال: رغب في الشيء رغبًا ورغبةً ورغبى، ورغبًا بالتحريك بمعنى أراده وحرص عليه، وأرغبني في الشّيء ورغّبني ورغّبه أعطاه ما رغب، أي: ما أراد، والرغبة إرادة الشيء والسعة في الإرادة، فإذا

١– متفق عليه. رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه ١/ ٢٨ (٥٢)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ٣/ ١٢١٩ (١٥٩٩).

٢– المفردات، الأصفهاني، ص ٣٥٨.

قيل: رغب فيه وإليه؛ اقتضى الحرص عليه إذا أراده، والرغيبة العطاء الكثير لكونه مرغوبًا فيه.

الثاني: ويأتي بمعنى الترك، يقال: رغب عن الشيء تركه متعمدًا، وزهد فيه ولم يرده، فإذا قيل: رغب عنه اقتضى صرف الرغبة عنه والزهد فيه[١].

الترغيب اصطلاحًا:

عرّفه عبد الكريم زيدان بأنه: "ما يُشوِّق إلى الاستجابة وقَبول الحق والثبات عليه[٢]، فهو وعد يصحبه إغراء بمتعة آجلة مؤكَّدة مقابل القيام بعمل صالح ابتغاء مرضاة الله[٣].

والتعريف المختار هو: «وعدٌ من الله سبحانه و تعالى لعباده فيه تحبيب وإغراء بمصلحة، أو لذة أو متعة عاجلة أو آجلة، يتبعه حرص وإرادة، مقابل القيام بعمل صالح أو ترك عمل سيء؛ طاعة لله سبحانه وتعالى"[٤].

٣- أهمية الترغيب:

فُطر الإنسانُ على حب ما ينفعه وتقر به عينه وتطمئن إليه نفسه، من هنا كان لأسلوب الترغيب أهمية قصوى في الدعوة إلي الله، وأصبح الطريق ممهدًا بعض الشي أمام الواعظ لاستثمار هذه الفرصة لدى المدعو.

١- الرازي، مختار الصحاح، ٢٦٧/١، ابن منظور، لسان العرب، ٤٢٢/١، الفيومي، المصباح المنير، ٢٣١/١.

٢- عبدالكريم زيدان، أصول الدعوة، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ، ١٣٩٥ه – ١٩٧٥م، ص٦٧٠.

٣- أحمد علوش، الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، ط١، دار الكتب لبنان، بيروت، ١٩٨٧م، ص٢٥٧.

٤- أحمد مصباح رزق، الترغيب والترهيب ودورهما في استقامة الإنسان دراسة قرآنية موضوعية، ص ٣.

وعلى هذا الأساس كان للترغيب أهمية كبيرة في جنس الطاعات، وعلى رأسها تحقيق كلمة التوحيد والقيام بمقتضياتها وشروطها والبعد عما ينقضها ويخدشها، والحذر كل الحذر من الشرك بأنواعه، فهو محبط للأعمال والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا) (النساء: ٤٨).

جيء في قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ" بحرف إِنَّ لتوكيد الخبرِ؛ لقصدِ دفْع احتمال المجازِ، أو للمبالغةِ في الوعيد، وهو إمَّا تمهيدٌ لِما بعده لتشنيعِ جُرم الشِّرك بالله؛ ليكون تمهيدًا لتشنيعِ حال الَّذين فضَّلوا الشِّركَ على الإيمان، وإظهارًا لمقدارِ التَّعجبِ مِن شأنهم الآتي في قوله: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا [النِّساء: ٥١]، أي: فكيف ترضَوْن بحالِ مَن لا يَرضَى اللهُ عنه، والمغفرةُ على هذا الوجهِ يصحُّ حملُها على معنى التَّجاوز الدُّنيويِّ، وعلى معنى التَّجاوز في الآخرة على وجه الإجمال[١].

ويتناول الترغيب كذلك بقية أركان الإسلام الخمسة، كالصلاة والزكاة والصوم والحج، وأركان الإيمان والإحسان، من ثمَّ الترغيب في بقية أنواع الطاعات الأخرى، وأشكالها، كبرِّ الوالدين وصلة الرحم والصدقة والإنفاق والإحسان إلي اليتيم والجار وذي الحاجة، وكف الأذى عن الناس باليد واللسان والجوارح الأخرى[٢]، قال صلى الله عليه وسلم " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"[٣]

١- يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٥/٨١).

٢- د. عبدالرحيم المغذوي، وسائل الدعوة ص ١٩٣.

٣- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، برقم٤١، ١/٦٥.

ولذلك سأتتبع في اختيار الفروع وترتيبها، التنوع في العناوين والتنسيق والترابط فيما بينها.

ثانيا: الترغيب في الإيمان باليوم الآخر، والترغيب في محبته سبحانه:

الترغيب في الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان بالله طوقُ النجاة وعنوان الخلاص، والطريق الموصلة لمرضاة علام الغيوب، وبدون الإيمان يصبح الإنسان كريشة في مهب الريح تتقاذفه الأهواء وتلعب به الرغبات.

وقد حرص الخطاب الوعظي القرآني على التنبيه والتكرار وكثرة التذكير بكل ما يذكر بالله ويقوي إيمان العبد بربه ويثبته، ويجعل لديه الحصن الحصين والسد المنيع ضد معصية الله.

وقد ربط الله سبحانه وتعالى في الكثير من الآيات القرآنية بعد الإيمان به الإيمان باليوم الآخر، فلا تتحقَّق حقيقة الإيمان بالله إلا بالإيمان باليوم الآخر لتلازم المبدأ والمعاد، قال تعالى: (ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ) (البقرة: ٣).

فقد بدأت السورة ببيان صفات المتقين، ويحمل ذلك العديد من الأسئلة منها: كيف يؤمنون بالغيب؟ ما أركان الإيمان بالغيب؟ كيف يؤمنون بما أنزل من قبله؟ ما وسائل الإيمان؟ وتأتي آخر السورة لتحمل الجواب، وذلك في قوله تعالى: "آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله..}

وقد جاء التأكيدُ بالجُملة الاسميَّة، عطفًا على الجملة فعليَّة، آكَدُ في الإخبار عن هؤلاء بالإيقان، ومُشعِر بالاهتمام بهم، وذكر الضَّمير الظاهر (هم) مع أنَّه موجود في الفِعل (يوقنون)؛ زيادةً في التأكيد(١)

١- يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٧١/١).

وقد رغّب القرآن الكريم بالإيمان في كثير من الآيات، ومن صور الترغيب ما يأتي:

أ – نيل رضا الله سبحانه وتعالى–:

قال تعالى: (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ) (التوبة: ٧٢).

في الآية تفصيلٌ لآثارِ رَحْمتِهِ الأخرويَّةِ إِثْرَ ذِكْرِ رَحْمتِهِ الدُّنيويَّةِ، وفيه إظهارٌ في مَوقعِ الإضمارِ– حيثُ لم يَقُلْ: وَعَدَهم اللهُ–؛ لزيادةِ التَّقريرِ، والإشعارِ بعِلِّيَّةِ وَصفِ الإيمانِ لحُصولِ ما تَعلَّقَ به الوَعْدُ، وعَدَمُ التَّعرُّضِ لذِكْرِ ما مَرَّ مِن الأمرِ بالمعروفِ وغيرِ ذلك؛ للإيذانِ بأنَّهُ مِنْ لوازمِه ومُسْتَتْبعاتِه (١).

قولُه: جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ..... ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ فيه تفصيلٌ للوعدِ الإجماليِّ الذي في قولِه: سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ؛ تَنْبيهًا على أنَّ تِلْكَ الرَّحْمةَ هي هذه الأشياءُ.

وقولُه: وَرِضْوَانٌ مُنَكَّرٌ للتَّنويعِ، يَدُلُّ على جِنْسِ الرِّضوانِ، وإنَّما لَمْ يُقْرَنْ بلامِ تَعريفِ الجِنْسِ؛ ليُتوسَّلَ بالتَّنكيرِ إلى الإشعارِ بالتَّعظيمِ؛ فإنَّ رِضوانَ اللهِ تعالى عظيمٌ (٢)، وتأمَّلْ كيف جاء بالرِّضوانِ مُبتدأً مُنكَّرًا في سِياقِ الإثباتِ، مُخبَرًا عنه بأنَّه أكبَرُ مِن كُلِّ ما وُعِدوا به فأيُّ شَيءٍ كان مِن رضاه

١– أبو السعود العمادي، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت (٨٣/٤).

٢– الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الناشر: الدار التونسية–تونس، الطبعة الأولى، سنة النشر:١٩٨٤م. (٢٦٤/١٠).

عن عَبدِه، وأيسَرُ شَيءٍ مِن رضوانِه؛ أكبَرُ مِن الجنَّاتِ وما فيها مِن المساكِنِ الطَّيِّبةِ وما حوَتْه ، وعَدَمُ نَظْمِه في سِلكِ الوَعْدِ مع عِزَّتِه في نَفْسِه؛ لأنَّه مُتحقِّقٌ في ضِمْنِ كُلِّ موعودٍ، ولأنَّه مُسْتَمِرٌّ في الدَّارين(١).

قولُه: ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ فيه التعبيرُ باسْمِ الإشارةِ ذَلِكَ وما فيه مِنْ معنى البُعْدِ؛ للإيذانِ ببُعْدِ دَرَجتِهِ في العِظَمِ والفخامةِ، وفيه التأكيدُ بضميرِ الفَصلِ هُوَ وبالجملةِ الاسميَّةِ، والوصفِ بـ العَظِيمُ المفيدِ للأهميَّة، وكذلك أُتِي بضمير الفصل هُوَ لتخصيصِ الفوزِ بالفضلِ المشارِ إليه، وهو قصرٌ لإفادةِ معنى الكمالِ، كأنَّه لا فوزَ غيرُه، ودخولُ ضميرِ الفصلِ هُوَ أيضًا فيه تَنْبِيهٌ على عِظَمِ شَأنِ الْمَذْكُورِ(٢).

ب - تحصيل الأجر العظيم:-

وعد الله المؤمنين الموحدين بالثواب والأجر العظيم قال تعالى: (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا) (النساء: ١٥٢).

والآية إلى آخِرها: جِيءَ بها لمقابلةِ المسيئين بالمحسنين، ومقابلةِ النَّذارةِ بالبشارة على عادةِ القرآن، وهو من محاسنُ بلاغته، فالقرآن مثانٍ، إذا ذكر شيءٌ ذكر ضدَّه، وقوله: أُولئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ: فيه التعبيرُ باسم الإشارة أُولَئِكَ؛ تَعظيمًا لهم، وجاءت بصيغة البعيدِ؛ للدَّلالة على علوِّ منزلتهم.

- والتَّصدير بـ(سوف)؛ لتأكيدِ الوعد، والدَّلالة على أنَّه كائن لا محالة وإنْ تأخَّر(٣) .

١- أبو السعود العمادي، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٨٣/٤).

٢- الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، (٤٠/١١) و(٣٢٠/٢٥).

٣- البيضاوي، تفسير البيضاوي، (١٠٦/٢)، وينظر: (تفسير أبي السعود)) (٢٤٩/٢).

ج – الهداية والثبات في الدنيا والآخرة–:

قال تعالى:﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

جعل المولى –تبارك وتعالى–الاستمساك بالعروة الوثقى وهي الدين القويم الذي ثبتت قواعده ورسخت أركانه من صفات المؤمنين، فمن يؤمن بالله فقد اعتصم من طاعة الله بما لا يخشى مع اعتصامه خذلانه إياه، كالمتمسك بالوثيق من عرى الأشياء التي لا يخشى انكسار عراها، وشبّه الله عز وجل ثبات المؤمن على إيمانه بالعروة القوية التي لا تنفصم؛ لإحكامها وشدة ربطها، فكان المتمسك بذلك على ثقة من أمره فيثبت على هذا الدين.

والآية مفعمة بالصور البلاغية، فقوله: "فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ" قدَّم ذِكْرَ الكُفْر بالطاغوت على الإيمان بالله؛ لإظهار الاهتمامِ بوجوب الكُفْر بالطاغوت([1])، ولأنَّه من باب التخلية قبلَ التحلية، "وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" فيه التصريحُ بلفظِ الجَلالة (الله)؛ لإدْخال الرَّوعةِ وتربية المهابة، وفيه توكيدُ الخبرِ باسميَّة الجُمْلة، والتعبير بصيغة فعيل (سميع– عليم) للمُبالغةِ في الوَصْف.

في قوله: "يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" جَمَع الظُّلماتِ وأفْرَد النورَ؛ لسرٍّ بلاغيٍّ عجيب، وهو الإشارة إلى وَحْدة الحقِّ، وتعدُّد أنواعِ الظُّلمات التي هي الضَّلالات، وما أكثرَها! ولأنَّ طريق الحقِّ واضِحةُ المعالم، لا لَبْس فيها، ولا تَشعُّب في مسالكها، أمَّا طريق الضلال؛ فهي مُلتَبِسةٌ على مَن يَسلُكها([2]).

١– محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، البحر المحيط، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ، ٦١٧/٢).

٢– البيضاوي، تفسير البيضاوي، (١٥٣/٢).

د – الرفعة والعلو في الدنيا والآخرة:–

قال تعالى:﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة: ١١).

بين الله سبحانه وتعالى منزلة العلم وأهله في الدنيا والأخرة، والناظر إلى الآية يجد لطائف بلاغية: ذكر تعالى في أول الآية مكانة المؤمنين، ثمّ ثنَّى بذكر مكانة العلماء، والعطفُ في مثل هذا الموطن هو من باب (عطف الخاص على العام) تعظيمًا لشأن العلماء، والعطفُ في مثل هذا الموطن هو من باب (عطف الخاص على العام) تعظيمًا لشأن العلماء كأنهم جنس آخر، ولذا أعيد اسم لموصول في النظم الكريم في قوله تعالى: {والذين أُوتُواْ العلم درجات}.

٢ – الترغيب في محبته سبحانه:

من أول وأهم أساليب وطرق الترغيب، الترغيب بمحبة الله سبحانه وتعالى، فهي رأس من رؤوس العقيدة وعنوان مهم من عناوين ترقيق القلوب والجذب الفعَّال للواعظ؛ لأن الإنسان إذا أحب أحداً اتبعه، فمن أحب الله عمل على مرضاته، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ (البقرة: ١٦٥).

خاطب اللهُ تعالى نبيَّه محمدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، والخطاب لعامة المؤمنين بعده بمشهد من مشاهد القيامة حين يُعاينون عذابَ الله عزَّ وجلَّ للظالمين، فيَتيقَّنون أنَّ القوةَ والقدرة كلَّها لله تعالى وحده، وأنَّ ما أعدَّه الله من العذاب لِمَن يستحقُّه ممَّن كفر به أو أشرك لشديدٌ.

ويتبرَّأ المتبوعون على الشِّركِ والكفرِ والضلالِ ممَّن اتَّبعهم حين يُعاينون عذابَ الله تعالى، ويتيقَّن الأتباعُ حين يُعاينون العذاب كذلك، أنَّهم سيُعذَّبون فيها لا محالةَ، وتتقطَّع كلُّ وسيلة تمسَّكوا بها من قبلُ للنجاة، ومنها جعْلهم للهِ نُظراءَ يُساوونه بهم في المحبَّة، ويسقط الجميعُ في النار، وعبر بالفعل الماضي"إِذْ تَبَرَّأَ"؛ للتَّنبيه على تحقُّق وقوعه(١)، ومن شواهده قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة: ٥٤).

في هذه الآية إثباتُ المحبَّةِ مِن اللهِ وللهِ؛ مِن اللهِ في قوله: يُحِبُّهُمْ، وللهِ في قوله: وَيُحِبُّونَهُ، وهذه الآية جمَعتْ بين محبَّة اللهِ لعبادِه الصالحين، ومحبَّةِ العبادِ الصالحين للهِ.

وفيها مناسبة بليغة لطيفةٌ في التَّقديمِ والتَّأخيرِ؛ حيث قَدَّمَ مَحبَّةَ اللهِ تعالى لهم يُحِبُّهُمْ على مَحبَّتهم له وَيُحِبُّونَهُ؛ لشَرفِ مَحبَّةِ اللهِ لهم، وسَبْقِها على مَحبَّتهم إيَّاه، وقدَّمَ الوَصْفَ بالمحبَّةِ مِنهم ولهم على وَصْفِهم بأذلَّةٍ على المؤمِنين، وأَعِزَّة على الكافِرين؛ لأنَّهما ناشِئتانِ عن المحبَّتَين، ولَمَّا كان الوصفُ الذي بَينَ المؤمِن وربِّه أشرفَ مِن الوصفِ الذي بَينَ المؤمِن والمؤمِن؛ لِذَا قدَّم قولَه: يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ على قوله: أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ. وقدَّمَ وَصْفَهم المتعلِّقَ بالمؤمِنينَ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ على وصْفِهم المتعلِّق بالكافرينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ؛ لأنَّ المتعلِّقَ بالمؤمِنينَ آكَدُ وألزَمُ من المتعلِّق بالكافِرين، ولشَرفِ المؤمنِ أيضًا(٢).

١- الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ٩٢/٢.

٢- محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، البحر المحيط، المحقق: صدقي محمد جميل، (٢٩٧/٤، ٢٩٩)

ثالثًا: الترغيب رحمة الله:-

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف:٥٦).

أي: إنَّ رحمةَ اللهِ في الدُّنيا والآخِرةِ مرجُوَّةُ الحُصُولِ للمُحسِنينَ في عبادةِ اللهِ، المُحسِنينَ إلى عِبادِ اللهِ، وهو أسلوبٌ مؤكدٌ بـ" إنَّ"، وهي لمُجرَّدِ الاهتمامِ بالخبرِ، وقد سكَتَ عن ضدِّ المحسنين رِفقًا بالمؤمنِين، وتعريضًا بأنَّهم لا يُظَنُّ بهم أنْ يُسِيئوا فتَبْعُد الرَّحمةُ عنهم. (١)

وفي قَولِه تعالى: إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ إشارةٌ إلى قُرْبِ اللهِ تعالى مِن المُحسنينَ، وأيضًا قُرْبِ رَحمتِه منهم، ووجهُ ذلك: هو الإخبارُ عن الرَّحمةِ- وهي مؤنَّثةٌ بالتاءِ- بقَولِه (قريبٌ) وهو مذكرٌ، وهذا مِن بابِ الاستغناءِ بأحَدِ المذكُورَينِ عن الآخَرِ؛ لكونه تبَعًا له ومعنًى مِن معانيه، فاستغنى بخَبَرِ المحذوفِ عن خبَرِ الموجودِ، وسَوَّغَ ذلك ظهورُ المعنى؛ ففي حذف التاء هاهنا تنبيهٌ على هذه الفائدةِ العَظيمةِ الجليلةِ، ولو قال: إنَّ رحمةَ اللهِ قريبةٌ مِنَ المحسنينَ؛ لم يدُلَّ على قُربِه تعالى منهم؛ لأنَّ قُربَه تعالى أخَصُّ مِن قُربِ رَحمَتِه، والأعَمُّ لا يستلزِمُ الأخَصَّ، بخلافِ قُربِه؛ فإنَّه لَمَّا كان أخَصَّ استلزَمَ الأعَمَّ، وهو قُربُ رَحمَتِه(٢).

رابعًا: الترغيب في العمل الذي يحبب العبد لله، العبادة الخالصة له:

<u>الترغيب في العمل الذي يحبب العبد لله:-</u>

من طرق الترغيب الإخبار عن الفعل والعمل بأن الله -تعالى- يحبه أو يحب فاعله أو فضله؛ قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا

١- الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير (٨ /١٧٧).

٢- ابن القيم، بدائع الفوائد، (١٨/٣، ٣١).

وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٦).

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (الزمر: ٩).

ينفي المولى -تبارك وتعالى- المُساواةَ بيْنَ المُشرِكِ والملازِمِ لطاعةِ رَبِّه، يقومُ ساعاتِ اللَّيلِ لعبادتِه ساجِدًا وقائمًا، يَحْذَرُ عذابَ الآخِرةِ، ويَرجو رحمةَ رَبِّه، كمَنْ هو جاعِلٌ لله تعالى شُرَكاءَ في العبادةِ؟!

ثمَّ يَنفي اللهُ تعالى أيضًا المساواةَ بيْنَ العالِمِ والجاهِلِ، فيقولُ: قُلْ -يا مُحمَّدُ-: هل يَستوي العُلَماءُ العامِلونَ بعِلمِهم، القانِتونَ لله؛ والجُهَّالُ الَّذين لا يَعلَمونَ ولا يَعمَلونَ؟ كلَّا، لا يَستَوونَ؛ إنَّما يَتذكَّرُ أصحابُ العُقولِ السَّليمةِ!

ثمَّ يقولُ تعالى: قُلْ -يا مُحمَّدُ- لعِبادِيَ المؤمِنينَ: اتَّقوا رَبَّكم، للَّذين أحسَنوا العَمَلَ في هذه الحياةِ الدُّنيا حَسَنةٌ، وأرضُ اللهِ فَسيحةٌ، وبلادُه كَثيرةٌ، فإذا عجَزْتُم عن عِبادتي في أرضٍ فتحوَّلوا إلى أرضٍ أُخرَى تَتَمكَّنونَ فيها مِنَ العبادةِ؛ فلا عُذرَ لأحَدٍ في تَركِ الهِجرةِ، ثمَّ يُبيِّنُ تعالى عاقبةَ الصَّبرِ، فيقولُ: إنَّما يُوفَّى الصَّابِرونَ أجْرَهم تامًّا كثيرًا بغيرِ حَدٍّ ولا عَدٍّ.

وفي الآية استفهام إنكاري، والقَرينةُ على إرادةِ الإنكارِ تَعقيبُه بقولِه: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ؛ لظُهورِ أنَّ (هل) فيه للاستِفهامِ الإنكاريِّ، وبقَرينةِ صِلَةِ الموصولِ. تَقديرُه: أمَن هو قانتٌ أفْضَلُ أمَّن هو كافرٌ؟ والاستِفهامُ حينَئذٍ تَقريريٌّ، ويُقدَّرُ له مُعادلٌ مَحذوفٌ دلَّ عليه قولُه عَقِبَه: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}[1].

١- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٧٥/٢٣.

الترغيب في العبادة الخالصة لله

يجدُ المتدبِّر لآيات القرآن الحثَّ على مختلف الأعمال الصالحة، فالله يعِد المحسنين من عباده بالتوفيق في الدنيا، وبالنعيم في الآخرة. وأهم ما رغَّب به القرآن عبادة الله تعالى، وطاعة النبي -صلى الله عليه وسلم- واتباع القرآن، والصلاة والزكاة، والإيمان باليوم الآخر، والجهاد في سبيل الله، والتوبة، والحِسبة، وتقوى الله، والجنة، والصبر[1].

إن جوهر دعوة الأنبياء عليهم السلام هو توحيد الله تعالى وتنزيهه ودعوة الناس لعبادة ربهم، قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة: ٢١ - ٢٢).

وفيه التفاتٌ، حيث انتقَل من الإخبار عنهم إلى خِطاب النِّداء، وتنويع الخِطاب فيه إلهابٌ وتنشيط للسَّامع، واستفتاح آذانه للاستماع، وتأهيل نفْسه للقَبول، وفي الانتقال هنا من الغَيبة إلى الخِطاب حصولُ شرفِ المخاطبة والمكالمة، مع التنبيه على الأدلَّة، وإشعارٌ بأنَّ العبد إذا كان مشتغلًا بالعبوديَّة، فإنَّه يستمر في الترقِّي، وفيه: اهتمامٌ بأمر العبادة، وتفخيم لشأنها[2].

١- كفايت همداني، الترغيب والترهيب في السياق القرآني، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور- باكستان، العدد الثاني والعشرون، ٢٠١٥ م، ص ٩٨.

٢- يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٨٨/١)، ((تفسير الرازي)) (٣١٩/٢-٣٢٠)، ((تفسير البيضاوي)) (٥٤/١)، ((تفسير أبي حيان)) (١٥٢/١).

وقوله: "اعْبُدوا رَبَّكُمُ" ذكر الرب هنا مع إضافته إلى المخاطبين؛ للتفخيم والتعظيم، لتأكيد موجِب الأمرِ بالإشعار بعليَّتها للعبادة فناسب المقام؛ لأنَّ الربَّ الذي يتصف بصفات الربوبيَّة هو وحده المستحق للعبادة.([1])

وقوله: وأنتم تَعلمُون مفعول (تعلمون) متروك، أي: وأنتم من أهل العِلم والمعرفة، وهو آكَدُ في التوبيخ، ويجوز تقدير مفعول، حُذِف لفَهمِه من السِّياق، فيكون فيه إيجاز بالحذف.

وقوله: فَأْتُوا بِسُورَةٍ صِيغتُه أمْر، والمقصود معنى التعجيز([2]).

-وتنكيرُ (سورة) لإرادة العموم والشُّمول، والإفراد أو النوعية، أي بسورة واحدة من نوع السور، وذلك صادق بأقل سورة تُرجمت باسم يخصها.

وقوله: "فَاتَّقُوا النَّارَ" فيه إيجاز بديع! بذِكر الكناية عن الأمْر بترْك المعاندة؛ لأنَّ اتِّقاء النار يعني ترْكَ العناد، فأفادتْ مع الإيجاز البديع، تهويلَ شأن العِناد بإنابة اتِّقاء النار منابَه، وإبرازه في صورته، مضيفًا إلى ذلك تهويل صفة النار وتفظيع أمرها([3]) .

خامسًا: الترغيب في التوبة النصوح:

أخبر الله تعالى عباده بسعة كرمه، وحثَّهم على الإنابة والتضرُّع إليه، ونهاهم عن اليأس من رحمته، فيدفعون وساوس الشيطان التي ترد على فكرهم؛ لتُبعدهم عن طاعة الله تعالى وتكون سببًا لهلكتهم.

١- أبو العود، تفسير أبي السعود، (٥٩/١).

٢- يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (١٠٩/١)، ((تفسير أبي حيان)) (١٧٢/١)، ((تفسير أبي السعود)) (٦٤/١).

٣- الزمخشري، تفسير الزمخشري، (١٠٢/١).

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣).

الخِطابُ بقَولِه: يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ تَمهيدٌ بإجمالٍ يأتي بَيانُه في الآياتِ بَعْدَه مِن قَولِه: وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ [الزمر: ٥٤] ، وبَعْدَ هذا؛ فعُمومُ (عِبَادِيَ) وعُمومُ صِلةِ الَّذِينَ أَسْرَفُوا يَشملُ أهْلَ المَعاصي مِنَ المُسلِمينَ، وإنْ كان المَقصودُ الأصليُّ مِنَ الخِطابِ المُشركينَ، على عادةِ الكَلامِ البَليغِ مِن كَثرةِ المَقاصِدِ والمعاني الَّتي تُفَرَّغُ في قَوالِبَ تَسَعُها..

-ولَعَلَّ وجْهَ ثُبوتِ الياءِ في يَا عِبَادِيَ في هذه الآيةِ دُونَ نَظيرِها -وهو قَولُه: قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ [الزمر:١٠]-: أنَّ الخِطابَ هنا لِلَّذين أسرَفوا، وفي مُقَدِّمَتِهمُ المُشركونَ، وكُلُّهم مَظِنَّةُ تَطَرُّقِ اليَأْسِ مِن رَحمةِ اللهِ إلى نُفوسِهم، فكان إثباتُ ياءِ المُتَكلِّمِ في خِطابِهم زِيادةَ تَصريحٍ بعَلامةِ التَّكلُّمِ؛ تَقويةً لِنِسبةِ عُبودِيَّتِهم إلى اللهِ تَعالى؛ إيماءً إلى أنَّ شَأنَ الرَّبِّ الرَّحمةُ بعِبادِه([1])..

-وفِعلُ (أسْرَفَ) الأكثَرُ أنْ يُعدَّى إلى مُتعلَّقِه بحَرْفِ (في)، وتَعديتُه هنا بـ (على)؛ لأنَّ الإكثارَ هنا مِن أعمالٍ تَتحمَّلُها النَّفْسُ وتَثْقُلُ بها، وذلك مُتعارَفٌ في التَّبِعاتِ والعُدْوانِ، تقول: أكثَرْتُ على فُلانٍ؛ فمعنى أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ: أنَّهم جَلَبوا لأنفُسِهم ما تُثقِلُهم تَبِعَتُه؛ لِيَشملَ ما اقْتَرَفوه مِن شِركٍ وسيِّئاتٍ. ([2])

-وإضافةُ الرَّحمةِ إلى اللهِ الْتِفاتٌ مِن ضَميرِ المُتكلِّمِ إلى الاسمِ الغائبِ؛ لأنَّ في إضافتِها تَخصيصًا للرَّحمةِ بالاسمِ الكريمِ، وبيانًا لِسَعةِ الرَّحمةِ؛ إذْ

١- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٤/٤٠، ٤١).

٢- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٤/٤١، ٤٢).

أُضِيفَتْ إلى اللهِ الَّذي هو أَعظَمُ الأسماءِ؛ لأنَّه العَلَمُ المُحتَوي على مَعاني جميعِ الأسماءِ([1]).

-قولُه: إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا تَعليلٌ للنَّهيِ عن اليأْسِ مِن رَحمةِ اللهِ. ([2])

-وأيضًا في قولِه: إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا وَضْعُ اسمِ الجَلالةِ (الله) مَوضِعَ الضَّميرِ؛ لدَلالتِه على أنَّه المُستَغْني والمُنعِمُ على الإطلاقِ. وفيه التَّأكيدُ بـ (الجميعِ)([3]).

-قولُه: إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ تعليلٌ لجُملةِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، وهو تعليلٌ على المُبالَغةِ وإفادةِ الحَصرِ.

-وإبرازُ الجُملةِ مِن قولِه إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ مُؤكَّدةً بـ (إنَّ) وبضميرِ الفَصلِ (هو) المُقتَضي -عِندَ البعضِ- الحَصرَ، وبالصِّفتَينِ المُودَعتَينِ (الغفور - الرحيم): مُبالَغة في الوعدِ بالغُفرانِ([4]).

سادساً: الترغيب في تقوى الله:-

تقوى الله من صفات المؤمنين، وهي درجات ومنازل يرتقيها المؤمنون، لذا كان من المناسب لها أسلوب الترغيب في حث المؤمنين على الصعود والارتقاء في منازلها، فمن يراقب الله تعالى ويقف عند حدوده يجعل له من

١- يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٢١٢/٩)، ((إعراب القرآن)) لدرويش (٤٣٦/٨).

٢- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (٤٢/٢٤).

٣- يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤٦/٥)، ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (٤٠٩/١٣)، ((تفسير أبي السعود)) (٢٥٩/٧).

٤- يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٢١٢/٩)، ((تفسير أبي السعود)) (٢٥٩/٧، ٢٦٠)، ((إعراب القرآن)) لدرويش (٤٣٣/٨).

كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ويرزقه من حيث لا يحتسب ولا يخطر بباله، وغيره من الوعود الربانية.

قال تعالى: (وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا* وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا) (الطلاق: ٢- ٣).

"وفي الآية إيماء إلى أن التقوى ملاك الأمر عند الله، وبها نيطت السعادة في الدارين[١]

قولُه: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا * ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا تَكريرٌ للمَوعظةِ، وهو اعتِراضٌ، والمقصودُ مَوعظةُ الرِّجالِ والنِّساءِ على الأخْذِ بما في هذِه الأحكامِ ممَّا عسى أنْ يكونَ فيه مشقَّةٌ على أحَدٍ بأنَّ على كلٍّ أنْ يَصبرَ لذلكَ امتثالًا لأمرِ اللهِ؛ فإنَّ المُمتثِلَ –وهو مُسمَّى المُتَّقيَ– يَجعَلُ اللهُ له يُسْرًا فيما لَحِقَه مِن عُسْرٍ، والمقصودُ: يَجعَلْ له مِن أمْرِه العَسيرِ في نظرِه يُسْرًا؛ بقرينةِ جَعْلِ اليُسْرِ لأمرِه، والمقصودُ مِن هذا تَحقيقُ الوعدِ باليُسرِ فيما شأنُه العُسرُ؛ لِحَثِّ الأزواجِ على امتثالِ ما أمَرَ اللهُ به الزَّوجَ مِنَ الإنفاقِ في مُدَّةِ العِدَّةِ، ومِنَ المراجَعةِ، وترْكِ مَنزلِه مِن أجْلِ سُكْناها إذا كانَ لا يَسَعُهما، وما أمَرَ به المرأةَ مِن تَربُّصِ أمَدِ العِدَّةِ، وعدَمِ الخروجِ، ونحوِ ذلك[٢].

– قولُه تعالَى:(ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا)

١– المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، ط ٣، دار الفكر –. بيروت، ١٣٩٤ ه م١٩٧٤م، ص١٤١.

٢– الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (٣٢٤/٢٨).

-قولُه: ذَلِكَ إشارةٌ إلى ما ذُكِرَ مِنَ الأحكامِ، وما فيه مِن معْنى البُعْدِ مع قُرْبِ العهدِ بالمُشارِ إليه؛ للإيذانِ ببُعْدِ مَنزلتِه في الفَضلِ. وإفرادُ الكافِ مع أنَّ الخِطابَ للجمْعِ كما يُفصِحُ عنه قولُه: أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ؛ لما أنَّها لمُجرَّدِ الفَرْقِ بيْنَ الحاضرِ والمُنْقَضِي، لا لتَعيُّنِ خُصوصيَّةِ المُخاطَبينَ (١).

-قولُه: ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ كِنايةٌ عن الحثِّ على التَّهَمُّمِ برِعايةِ حُكْمِ اللهِ وما شرَعَه، والعَملِ به، وبَعْثِ النَّاسِ على التَّنافُسِ في العِلمِ به؛ إذْ قَدِ اعْتَنى اللهُ بالنَّاسِ؛ حيثُ أنزلَ إليهم ما فيه صلاحُهم.

- وفي قولِه: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا أُعِيدَ التَّحريضُ على العَملِ بما أمَرَ اللهُ بالوعدِ بما هو أعظَمُ مِنَ الأرزاقِ، وتَفريجِ الكُرَبِ، وتَيسيرِ الصُّعوباتِ في الدُّنيا، وذلك هو تَكفيرٌ للسَّيِّئاتِ، وتَوفيرٌ للأُجورِ، والجُملةُ مَعطوفةٌ على الجُملةِ المُعترِضةِ؛ فلها حكْمُ الاعتراضِ .

كما أن التقوى سبب في حفظ الله الأهل والأولاد، **قال تعالى:** (وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا) (النساء:٩)

قوله تعالى: وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا:

-فيه إيجازٌ بالحَذْف؛ حيثُ حُذِفَ مفعولُ وَلْيَخْشَ؛ لتذهبَ نفْسُ السَّامعِ في تقديرِه كلَّ مذهبٍ مُحتمَل؛ فينظر كلُّ سامعٍ بحسَبِ الأهمِّ عنده ممَّا يَخشاهُ أنْ يُصيبَ ذرِّيَّتَه(٢)

-وفيه أيضًا حذْفُ مفعول خَافُوا؛ لِتذهبَ النَّفسُ في تقديره كلَّ مذهب، ولِتَفْتَنَّ في تصوير الخوف من المصير المحتوم الذي يَؤُول إليه أمرُ الضِّعاف

١- أبو السعود، تفسير أبي السعود، (٢٦٢/٨).

٢- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٥٢/٤).

في هذه الحياة. ويُمكن تقديرُه بمثل الضياع والتشرُّد في مسارب الحياةِ ومسالِكِها المتشعِّبة، من دون كافل يَكفُلهم، أو مُدبِّرٍ يُدبِّر شؤونَهم([1]).

-وقوله: فَليتَّقُوا اللهَ وليَقُولُوا قَولًا سَدِيدًا: أمَرَهم بالتقوى التي هي غايةُ الخشيةِ بعدَما أمرهم بها؛ مراعاةً للمبدأ والمنتهى؛ إذ لا يَنفع الأوَّلُ دون الثاني، ثم أمَرَهم أن يقولوا لليتامى مثلَ ما يقولون لأولادهم بالشَّفَقَة وحُسْن الأدب.

- قوله: ولْيَخْشَ، وَخَافُوا فيه تَكرارٌ من جِهةِ المعنى- على قولِ مَن جعَلَهما مُترادِفَينِ([2]).

سابعًا: الترغيب في الاستغفار:-

الاستغفار مفتاح لكل أبواب الخير وسبب عظيم لدفع عقاب الله وغضبه، وها هو نبي الله نوح

يخاطب قومه ويعظهم ويأمرهم بالاستغفار ثم يبين لهم ما للاستغفار عند الله تبارك وتعالى من ثواب،﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا* يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا* وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَرًا﴾ (نوح: ١٠ - ١٢).

قولُه تعالَى: "فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا" فصَّل دَعوتَه بفاءِ التَّفريعِ فقال: فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ؛ فهذا القولُ هو الَّذي قالَه لهم ليلًا ونهارًا، وجِهارًا وإسرارًا([3]).

-قولُه: إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا تعليلٌ لقوله: فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ؛ علَّلَ لهم بأنَّ اللهَ مَوصوفٌ بالغُفرانِ صِفةً ثابتةً تَعهَّدَ اللهُ بها لعِبادِه المستغفرينَ، فأفادَ التَّعليلَ

١- محيي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، (١٦٥/٢).

٢- (تفسير أبي حيان)) (٥٣٢/٣).

٣- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (١٩٧/٢٩).

بحرْفِ (إنَّ)، وأفاد ثُبوتَ الصِّفةِ للهِ بذِكرِ فِعلِ (كان)، وأفاد كَمالَ غُفرانِه بصِيغةِ المُبالَغةِ بقولِه: غَفَّارًا، وهذا وعْدٌ بخَيرِ الآخِرةِ. ورتَّبَ على الوعْدِ بخيرِ الآخرةِ وعْدًا بخيرِ الدُّنيا بطَريقِ جَوابِ الأمرِ، وهو يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ ... الآية(١).

-قولُه: غَفَّارًا صيغةُ مبالغةٍ، وهو أبلغُ في المغفرةِ مِن (غافر)؛ لأنَّ (فعَّالًا) يدلُّ على كثرةِ صدورِ الفعلِ، و(فاعلًا) لا يدلُّ على الكثرةِ، وقوَّةُ اللفظِ تدلُّ على قوةِ المعنَى، فالألفاظُ أدلةٌ على المعاني، وأمثلةٌ للإبانةِ عنها.

-وقدَّمَ إليهم الموعدَ بما هو أوقَعُ في نُفوسِهم وأحَبُّ إليهم؛ مِن المنافعِ الحاضرةِ، والفوائدِ العاجلةِ؛ تَرغيبًا في الإيمانِ وبَرَكاتِه، والطَّاعةِ ونَتائجِها مِن خَيرِ الدَّارَينِ(٢).

-قولُه: يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا الإرسالُ: مُعبَّرٌ به عن الإيصالِ والإعطاءِ، وتَعديتُه بـ عَلَيْكُمْ لأنَّه إيصالٌ مِن عُلوٍّ. والمِدرارُ: الكثيرةُ الدَّرِّ والدُّرورِ، وهو السَّيَلانُ، ومعْنى ذلك: أنْ يَتبَعَ بَعضُ الأمطارِ بَعضًا، ومِدرارٌ زِنةُ مُبالَغةٍ. (٣)

٤- قولُه تعالَى: وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا فيه إعادةُ فِعلِ (يَجعَل) بعْدَ واوِ العطفِ في قولِه: وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا للتَّوكيدِ؛ اهتمامًا بشأْنِ المعطوفِ؛ لأنَّ الأنهارَ قِوامُ الجنَّاتِ، وتَسْقي المزارعَ والأنعامَ(٤).

١- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (١٩٧/٢٩، ١٩٨).

٢- يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٦١٧/٤)، ((تفسير أبي حيان)) (٢٨٢/١٠).

٣- يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٦١٧/٤)، ((تفسير البيضاوي)) (٢٤٩/٥)، ((تفسير أبي السعود)) (٣٨/٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩٨/٢٩).

٤- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (١٩٧/٢٩، ١٩٨).

المطلب الثاني

الترغيب في الأعمال والأقوال الصالحة

بعد أن رققنا القلوب في المطلب السابق، وبينا أثر الموعظة الحسنة في الخطاب الدعوي بالآيات القرآنية الدامغة، بقي الترغيب في الأعمال التي تثبت الإيمان وتقويه؛ لينال صاحبه رضوان الله تعالى، وقد تنوعت هذه الأعمال وتشكلت لتشمل معظم الأعمال الصالحة التي تقوي إيمان العبد.

الأعمال الصالحة في القرآن الكريم كثيرة، ومن أهم الأعمال الصالحة التي لابد للمسلم أن يحرص عليها: العبادات، كالصلاة والزكاة والحج والصيام؛ لذلك نجد القرآن الكريم حافلًا بالآيات المرغبة بهذه العبادات والأعمال الصالحة ومنها:

الترغيب في الأعمال الحسنة:-

غيرُ خافٍ على مبصرٍ أن الأعمال الصالحة نورٌ لصاحبها في الدنيا، وثباتٌ له عند الممات، وأنيسٌ له في قبره، ونجاةٌ له يوم القيامة؛ لذا أمر الله بها عباده في أكثر من آية من آيات الذكر الحكيم.

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ (هود: ١١٤).

جملةُ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ مَسوقةٌ مَساقَ التَّعليلِ للأمرِ بإقامةِ الصَّلواتِ، وتأكيدُ الجملةِ بحَرفِ (إنَّ)؛ للاهتمامِ وتحقيقِ الخبَرِ، و(إنَّ) فيه مُفيدةٌ معنى التَّعليلِ والتَّفريعِ، وهذا التَّعليلُ مُؤْذِنٌ بأنَّ اللهَ جعَل الحسَناتِ يُذْهِبْن السَّيِّئاتِ، والتَّعليلُ مُشعِرٌ بعُمومِ أصحابِ الحسَناتِ؛ لأنَّ الشَّأنَ أن تَكونَ العِلَّةُ أعَمَّ مِن المعلولِ مع ما يَقتَضيه تعريفُ الجمعِ باللَّامِ مِن العمومِ [١]، وخَصَّ الذَّاكرينَ بالذِّكرِ؛ لأنَّهم المُنتَفِعونَ بالذِّكرى[٢].

١- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (١٨٠/١٢).

٢- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، د. ط ، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ١٤٠٥ه-١٩٨٥م، (١١٣/٩).

الترغيب في صلة الأرحام:-

صلة الأرحام مفتاح لرضوان الله والجنة، ووعد الله تعالى عباده الواصلين للأرحام بالنعيم المقيم في الجنة، قال تعالى: (وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ) (الرعد: ٢١).

"وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ..." هم الذين يَصِلونَ كلَّ ما أمَرَهم اللهُ بوَصلِه، مِن الإيمانِ باللهِ والأرحامِ وغير ذلك، ويخافونَ رَبَّهم أن يُحاسِبَهم على كلِّ ذُنوبِهم، ولا يغفِرُ لهم منها شيئًا، وهم الذين صَبَروا؛ طلبًا لرِضا ربِّهم، وأدَّوا الصَّلاةَ على أتمِّ وُجوهِها، وأدَّوا مِن أموالِهم زكاتَهم المفروضةَ، والنَّفَقاتِ الواجبةَ، في الخَفاءِ والعَلَن، ويَدفعونَ بالعَمَلِ الصَّالحِ السَّيئَ من الأعمالِ، أولئك الموصوفونَ بهذه الصِّفاتِ لهم العاقِبةُ المحمودةُ في الآخرةِ.

قال السيوطي في تفسيره عن قتادة-رضي الله عنه-قال: ذكر لنا أن النبي -صلى الله عليه وسلم-كان يقول : اتقوا الله وصلوا الأرحام، فانه أبقى لكم في الدنيا وخير لكم في الآخرة، وكان عبد الله بن عمر يقول: إن الحلم ليس من ظلم ثم حلم، حتى إذا هيجه قوم اهتاج، ولكن الحليم من قدر ثم عفا، وإن الوصول ليس من وصل ثم وصل، فتلك مجازاة، ولكن الوصول من قطع ثم وصل وعطف على من لا يصله[١].

ومن اللطائف البلاغية في الآية الكريمة {وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ...} فيه إطنابٌ في التَّعبيرِ عنِ الرَّحِمِ- على أحدِ القولينِ في التفسيرِ- بطريقةِ اسمِ الموصولِ {مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ}؛ لِما في الصِّلةِ مِن التَّعريضِ بأنَّ واصِلَها آتٍ بما يُرْضي اللَّهَ؛ لينتَقِلَ مِن ذلك إلى التَّعريضِ

١- السيوطي، الإمام عبد الرحمن بن جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ط ١، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٤٠٣ ه- ١٩٨٣م، ٦٣٧/٤.

بالمُشركين الَّذين قطَعوا أواصِرَ القَرابةِ بينهم وبين رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ومَن معه مِن المؤمنين، وأساؤوا إليهم في كلِّ حالٍ، وكتَبوا صحيفةَ القَطيعَةِ مع بَني هاشمٍ.([1])

– قولُه: أَنْ يُوصَلَ جيءَ بهذا النَّظْمِ؛ لزيادةِ تقْريرِ المقصودِ– وهو الأرحامُ– بعد تقريرِه بالموصوليَّةِ ، وذلك على أحدِ وجهي التفسيرِ. وقيل: قال: بِهِ أَنْ يُوصَلَ دونَ (بوَصلِه)؛ ليكونَ مأمورًا بوَصلِه مرَّتينِ، ويُفيدَ تجديدَ الوَصلِ– كُلَّما قطَعَه قاطِعٌ– على الاستمرارِ([2]).

الترغيب في العفو والتسامح، وقول المعروف

الترغيب في العفو والتسامح:–

حض الله على العفو والتسامح في العديد من الآيات القرآنية وجعل له المنزلة السامقة، قال تعالى: (وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (النور: ٢٢).

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: "إذا كان يوم القيامة ناد منادٍ: أيكم أهل الفضل؟ فيقوم ناس من الناس، فيقال: انطلقوا إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة، فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة، قالوا: قبل الحساب؟ قالوا: نعم، قالوا: من أنتم؟ قالوا: أهل الفضل، قالوا: وما كان فضلكم؟ قالوا: كنا إذا جُهل علينا حلمنا، واذا ظُلمنا صبرنا وإذا سيء إلينا عفونا، قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين([3]).

–قولُه: وَإِنْ تَعْفُوا وتَصْفَحُوا وتَغْفِرُوا العفوُ: ترْكُ المُعاقَبةِ على الذَّنْبِ بعْدَ الاستِعدادِ لها، ولو مع توبيخٍ، والصَّفْحُ: الإعراضُ عن المذنِبِ، أي: ترْكُ

١– الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (١٢٧/١٣).

٢– البقاعي، نظم الدرر، (٣٢٩/١٠).

٣–القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٤٠/١٦.

عِقابِه على ذنْبِه دونَ التَّوبيخِ، والغَفْرُ: سترُ الذَّنْبِ، وعدَمُ إشاعتِه، والجمعُ بَيْنَها هنا إيماءٌ إلى تراتُبِ آثارِ هذِه العداوةِ، وما تَقتضيهِ آثارُها من هذِه المعامَلاتِ الثَّلاثِ(١).

وقيل: يريدُ بالعفوِ عن الظَّالمِ، وبالصَّفحِ عن الجاهلِ، وبالغُفرانِ للمُسيءِ.

-وحُذِفَ مُتعلَّقُ الأفعالِ الثَّلاثةِ (تعفوا- تصفحوا- تغفروا)؛ لِظُهورِ أنَّ المرادَ مِن أولادِكُم وأزواجِكُم فيما يَصْدُرُ منهم ممَّا يُؤذيكُم. ويجوزُ أنْ يكونَ حذْفُ المتعلَّقِ لإرادةِ عُمومِ التَّرغيبِ في العَفوِ(٢).

- وجُملةُ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ دليلُ جَوابِ الشَّرطِ المحذوفِ المُؤذِنُ بالتَّرغيبِ في العفوِ والصَّفحِ والغَفْرِ؛ فالتَّقديرُ: وإنْ تَعْفوا وتَصْفَحوا وتَغْفِروا يُحِبَّ اللهُ ذلك منكم؛ لأنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ، أي: للَّذينَ يَغفِرونَ ويَرحمونَ، وجمَعَ وَصْفُ رَحِيمٌ الخِصالَ الثَّلاثَ(٣).

الترغيب في قول المعروف

الكلمة الطيبة صدقة، ولربما يتفوه الإنسان بكلمة من رضوان الله تكون سببًا في دخوله الجنة، وتكون أفضل عند الله وأعظم أجرًا من العمل الذي يتبعه منّ وأذى، والقول الحسن الصادق المستقيم سبب في توفيق الله للعبد والحط من سيئاته وذنوبه، كما مثل الله عز وجل القول الحسن بالشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، قال تعالى:﴿لَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ * تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (إبراهيم:٢٤-٢٥).

١- يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٢٨٥/٢٨). ويُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٢١٩/٥).

٢- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٨٥/٢٨).

٣- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٨٥/٢٨).

والآية مفعمة بالصور البلاغية:

-الاستفهامُ في "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا" إنكاريٌّ، نُزِّلَ فيه المُخاطَبُ مَنزلةَ مَن لم يَعلَمْ، فأنكَرَ عليه عدَمَ العِلْمِ، أو هو مُستعمَلٌ في التَّعجُّبِ مِن عدَمِ العِلْمِ بذلك، مع أنَّه ممَّا تتوفَّرُ الدَّواعي على علْمِه، أو هو للتَّقريرِ، وهو كِنايةٌ عنِ التَّحريضِ على العِلْمِ بذلك، وإيثارُ كَيْفَ هنا للدَّلالةِ على أنَّ حالةَ ضرْبِ هذا المثَلِ ذاتُ كيفيَّةٍ عجيبةٍ مِن بلاغَتِه وانْطباقِه([1]).

-قولُه: كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ فيه حُسْنُ التَّقسيمِ؛ إذ جاء أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، يُريدُ بالمطلب: أعلاها ورأْسَها، وإنْ كان المُشبَّهُ به ذا فُروعٍ، فيكونُ مِن بابِ الاكتِفاءِ بلفْظِ الجِنْسِ؛ فيجوزُ أنَّ المرادَ: وفُروعُها، أي: أفناؤُها، على الاكتفاءِ بلفْظِ الجِنْسِ([2])؛ لاكتسابِه الاستغراقَ مِن الإضافةِ([3]).

-قولُه: تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا المُشبَّهُ هو: الهيئةُ الحاصِلةُ مِن البَهجةِ في الحسِّ، والفرَحِ في النَّفسِ، وازديادِ أُصولِ النَّفعِ باكتسابِ المَنافِعِ المُتتاليةِ بهيئةِ رُسوخِ الأصْلِ، وجمالِ المَنظَرِ، ونَماءِ أغصانِ الأشجارِ، ووفْرةِ الثِّمارِ، ومُتعةِ أكْلِها.

- وفي الآيتينِ: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا تَشبيهٌ تمثيليٌّ في تشبيهِ الكلمةِ الطَّيِّبةِ الموصوفةِ بثلاثِ صِفاتٍ، وهي إيتاءُ الأُكُلِ كلَّ حينٍ، أي: مِن وقْتِ أنْ تُؤْكَلَ إلى حينِ انصرامِها، ووجْهُ الشَّبهِ في تَمثيلِ الإيمانِ بالشَّجرةِ: أنَّ الشَّجرةَ لا تكونُ شجرةً إلَّا بثلاثةِ أشياءَ: عِرْقٍ راسِخٍ، وأصلٍ

١- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٢٣/١٣).

٢- يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٥٥٣/٢)، ((تفسير أبي حيان)) (٤٣٢/٦)، ((تفسير أبي السعود)) (٤٣/٥).

٣- البيضاوي، تفسير البيضاوي، (١٩٨/٣).

قائمٍ، وفرْعٍ عالٍ، كذلك الإيمانُ لا يَتِمُّ إلَّا بثلاثةِ أشياءَ: تصديقٍ بالقلْبِ، وقولٍ باللِّسانِ، وعملٍ بالأبدانِ؛ فوُجودُ الصِّفاتِ الثَّلاثِ في جانِبِ المُشبَّهِ به حِسِّيَّةٌ، بينما هي في جانِبِ المُشبَّهِ معنويَّةٌ (١).

الترغيب في الإنفاق في جميع مجالات الخير:

الإنفاق دليل على إيمان صاحبه وتقواه، **قال تعالى:** (مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢٦١).

قال الشوكاني: "ثم يبين المولى عز وجل بما أعد لهم من الدرجات في الجنة، بعد أن غفر لهم ما فرط منه من ذنوب ومعاصي، كما أنهم في رزق دائم مقرون بالإكرام(٢).

في هذه الآية يَضرِب اللهُ المَثَلَ في مضاعفة الحسنات للمُنفِقين في أوجه الخير، بمن بذَر بَذْرةً في أرض طيِّبة، فأَخرجتِ الحبَّةُ سَبْعَ سَنابلَ، في السُّنبلةِ الواحِدة مِئةُ حبَّة، فكان أنْ تَضاعفتِ الحبَّةُ إلى سَبْعمِئة حبَّة، والله يُضاعِف لمن يشاء؛ لأنَّه واسعُ الفَضْل، عليمٌ بمن يَستحِقُّ المضاعفة ممن لا يَستَحِقُّها، ثم يُبيِّن الله تعالى أنَّ الذين يَبذُلون أموالَهم في أوجهِ الخيرِ ومرادهم رضا الله تعالى، ثم لا يُلحِقون ما بذَلوه منًّا على مَن أنفقوا عليهم ولا أذًى، فهؤلاء لهم أجرَهم عند الله، ولهم كذلك ألَّا يخافوا فيما يُستقبَل ولا يحزنون على ما مضى.

وفي تفسير الصابوني: "فالله جل وعلا ضرب هذا المثل لبيان مضاعفة الثواب لمن أنفق في سبيله واتقاء مرضاته وبأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وهذا تمثيل لمضاعفة الأجر لمن أخلص في صدقته وإنفاقه"(٣)، هذا التمثيل تصويرٌ للأضعاف كأنَّها حاضرةٌ بين يدَي الناظر.

١- الفخر الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير،٩٢/١٩.

٢-ينظر: الشوكاني، فتح القدير،٣٥٦/٢.

٣- ينظر: الصابوني، صفوة التفاسير، ٥٤٨/١.

وفي الآية إيجازُ بالحَذْف على طريقة الاحتِباك، حيث حذَف من كلِّ جُملةٍ ما دلَّ عليه في الجملة الأخرى، والتَّقدير: مَثَل الذين يُنفِقون ونفقتهم كمَثَل حبَّة وزارِعها، فذِكْر المنفِق أولًا دليلٌ على حذْف الزارع ثانيًا، وذِكْر الحَبَّة ثانيًا دليلٌ على حذْف النَّفقة أولًا.

وهذا المثَل يتضمَّن التَّحريض على الإنفاق في سبيل الله، وشبَّه الإنفاق بالزَّرع؛ لأنَّ الزَّرع لا يَنقطِع، وفيها حذفٌ إمَّا من جانب المشبَّه أو المشبَّه به؛ لتحصيل المناسَبة، أي: وتلك الحبَّة أُلقيتْ في الأرض، ثم أَنْبتتْ سَبْعَ سنابل[1].

الترغيب في العبادات كالصلاة والزكاة

١ -الترغيب في الصلاة:

ميّز الله الصلاة عن غيرها من العبادات، فهي صلة بين العبد وربه، وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، وفرضت في السماء ليلة المعراج، فالصلاة سياج للمؤمن من كل منكر، فجمعت طرفي المقصد شرعًا، وهما العون على الخير والحفظ من الشر؛ لذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا بإقامتها في كثير من الآيات؛ وذلك لأهميتها وعظم منزلتها، وأمرنا بالاستعانة بها في كل الأمور.

لقد رغّب القرآن في الصلاة باعتبارها سبب للانتهاء عن المعاصي، قال تعالى: (ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) (العنكبوت: ٤٥).

وتعليلُ الأمر بإقامة الصَّلاة بالإشارة إلى ما فيها مِن الصلاح النَّفساني؛ فموقع (إنَّ) هنا موقع فاء التعليل، فاقتصر على تَعليل الأمر بإقامة الصَّلاة دون تَعليل الأمر بتلاوة القرآن؛ لما في هذا الصلاح الذي جعله الله في الصلاة

١-الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل؛ الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة الثالثة، سنة النشر:١٤٠٧هـ، ١/٣١٠.

مِن سر إلهي لا يهتدي إليه الناس إلَّا بإرشاد منه تعالى، فـأخبر أنَّ الصّـلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.

وقال تعالى﴿ ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ)(طه: ١٣٢).

يخاطب الله سبحانه وتعالى نبيَّه بالمداومة على الصلاة، وأن يوجّه أهله بتأديتها في أوقاتها، ويحثه على الصبر في حثهم عليها، وترغيبهم فيها بالربط بينها وبين الرزق.

وهنا لفته بلاغية رائعة، فذكر "الأهل" هنا مقابل لذكر الأزواج في قوله: (إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ) [طه: ١٣١] ؛ فإنَّ مِن أهْلِ الرَّجلِ أزواجَـه، أي: متعتك ومتعة أهلك الصلاة؛ فلا تلتفتوا إلى زخارف الدنيا، وأهل الرجـل يكونون أمثل مَن يَنْتَمون إليه، وفي قوله {واصطبر} أبلغُ مِن الأمرِ بالصَّـبرِ بأن يُقالَ مثلًا (اصبِرْ)؛ لأنَّ الألفاظَ أدلَّةٌ على المعاني، فإذا زيدَتْ في الألفـاظِ وَجَب زيادةُ المعاني ضرورةً([1]).

٢-الترغيب في الزكاة

لا يخفى لا أحدٍ الحكمة الإلهية في تشريع الزكاة تطهيرًا لنفوس البشرية من الشح والبخل والطمع، ومواساة للفقراء والمساكين والمحتاجين، وتطهيـرًا للمال وتنميته، وإحلال البركة فيه، ووقايته مـن الآفـات والفسـاد، وإقامـة المصالح العامة التي تتوقف عليها حياة الأمة وسعادتها.

رغّب الله في الزكاة، فأداءُ حق الله تعالى ثمرةٌ من ثمرات التمكين، قال تعالى: (ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ) (الحج: ٤١).

١-الزركشي: البحر المحيط في أصول الفقه؛ الناشـر: دار الكتبـي، الطبعـة الأولـى، سـنة النشر:١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.،٣٤/٣.

قولُه: {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ} بَدلٌ مِن {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ}، وما بَينهما اعتراضٌ؛ فالمُرادُ مِن الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ [الحج: ٤١]: المهاجِرونَ. ويجوزُ أنْ يكونَ بَدلًا مِن (مَن) الموصولةِ في قولِه: مَنْ يَنْصُرُهُ [الحج: ٤٠]؛ فيكون المُرادُ: كلَّ مَن نَصَرَ الدِّينَ مِن أجيالِ المُسلمينَ، أي: مكَّنَّاهم بالنَّصرِ الموعودِ به إنْ نَصَروا دِينَ الله. وعلى الاحتمالينِ فالكلامُ مَسوقٌ للتَّنبيهِ على الشُّكرِ على نِعمةِ النَّصرِ بأنْ يأْتوا بما أمَرَ اللهُ به مِن أُصولِ الإسلامِ؛ فإنَّ بذلك دوامَ نَصْرِهم (١).

٣- الترغيب في الصوم:-

الصيام عبادة من أعظم العبادات، وفريضة من أوجب الفرائض، بل ركن من أركان الإسلام، وقربة من أشرف القربات، وطاعة مباركة، لها آثارها العظيمة والكثيرة العاجلة والآجلة، والنصوص في فضل الصيام تحثّ عليه وترغّب فيه، وتبيّن ما للصائم من الثواب عند الله يوم القيامة، قال تعالى: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة: ١٨٣).

قوله: عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ فيه تقديمٌ وتأخير، حيث قدَّم شِبه الجملة عَلَيْكُمُ على نائب الفاعل الصِّيَامُ، والأصل تأخيرها عنه؛ لأنَّ البَداءةَ بذِكر المكتوب عليه آكَدُ مِن ذكر المكتوب؛ لتعلُّق الكَتْب بمَن يؤدِّي(٢).

-في قوله تعالى: أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ عُبِّر عن رمضانَ بأيَّامٍ، وهي جمْع قِلَّة، ووُصفَت بمَعدوداتٍ، وهي جمْعُ قِلَّة أيضًا؛ تهويناً لأمرِه على المكلَّفين، والمعدوداتُ كنايةٌ عن القلَّة؛ لأنَّ الشيءَ القليل يُعدُّ عدًّا؛ ولذلك يقولون: الكثيرُ لا يُعَدُّ، ولأجْل هذا اختير في وصفِ الجمْعِ مجيئُه بلَفْظ مَعْدُودَاتٍ، وإنْ كان

١-الطاهر بن عاشور، التريرر والتنوير،١٧/٢٨٠.

٢- يُنظر: ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٢/٢٦٦).

مجيئُه بلفظ (مَعْدودَة)- على طريقةِ الجمْع المُكسَّر الذي فيه هاءُ تأنيثٍ- أكثرَ([1]).

-قوله: إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ فيه حذْف معمول تَعْلَمُونَ؛ إمَّا للاقتصار، أي: إنْ كنتم مِن ذوي العِلم والتَّمييز، وإمَّا للاختصار؛ للدَّلالة عليه، وفَهمه من السِّياق([2]).

- قوله: فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ فيه حذْفٌ، ووضْعٌ للمُظهر المتأخِّر مكانَ المضمَر الأوَّل؛ إذ أصله: فمن شهد فيه فليصم فيه؛ فأضمر (فيه) الأولى، وهذا يُفيد التعظيم والمبالَغة في البيان.

٤- الترغيب في الحج:-

الحج ركن الإسلام الخامس، تجتمع فيه كل شعائر العبادات، ففيه يعلن الناس الشهادة بالوحدانية لله سبحانه و تعالى، وقد رغّب القرآن الكريم في هذه العبادة؛ لأنها تحقق أهدافًا وغايات عظيمة.

قال تعالى﴿فِيهِ ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ) (آل عمران: ٩٧).

في قوله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ} في تقديمِ المجرور الأوَّل وَلِلَّهِ: أنَّ الاسمَ المجرورَ من حيثُ كان اسمًا لله سبحانه، وجَب الاهتمامُ بتقديمِه؛ تعظيمًا لحُرْمةِ هذا الواجبِ الذي أوجبَه، وتخويفًا مِن تضييعه؛ إذ ليس ما أوجبه اللهُ سبحانه بمَنزلةِ ما يُوجِبه غيرُه([3]) .

١-الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (١٦١/٢).

٢- السمين الحلبي، يُنظر: ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٢٧٦/٢).

٣-السعدي، تفسير السعدي، (ص: ١٣٨).

قوله: وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ: جُملةٌ معطوفةٌ مقابلة لقوله: مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وقيل: هي جملةٌ مستقلَّة، كالتَّذييلِ، بُيِّن بها عدمُ اكتراثِ الله بمَن كفَر به، وفي ذِكْرِ استغنائه عنه مِن الإعلامِ بمَقْته وسَخَطه عليه وإعراضِه بوجْهِه عنه ما هو أعظمُ التَّهديد وأَبْلَغه (١)

وجاءَ التَّعبير بقوله: عَنِ الْعَالَمِينَ ولم يَقُل: (عنه)؛ مُبالغةً في التَّعميم، وللدَّلالةِ على الاستِغناء عنه بالبُرهان، والإشعار بعِظَم السَّخَط؛ لأنَّ المستغني عن كلِّ العالَمِين أَوْلَى أنْ يكونَ مستغنيًا عن ذلِك الإنسانِ الواحدِ وعن طاعتِه؛ فكانَ ذلك أدلَّ على السَّخَط(٢).

الترغيب في الصبر:-

اعتنى القرآن الكريم بفضيلة الصبر بالغ العناية؛ لما له من قيمة كبيرة، وأثر في الحياتين الدنيا والأخرى، الصبر من أكثر الأخلاق التي اعتنى بها دين الإسلام؛ لذا تكرر ذكره في القرآن في مواضع كثيرة، قال أبو عبد الله أحمد ابن حنبل: «ذكر الله سبحانه الصبر في القرآن في تسعين موضعًا»(٣)، فليس من الفضائل الثانوية، بل من الضرورات اللازمة التي لا انفكاك للإنسان عنها، فلا نجاح في الدنيا ولا نصر ولا تمكين إلا بالصبر، ولا فلاح في الآخرة، ولا فوز ولا نجاة إلا بالصبر، ولقد رغّب القرآن الكريم في الصبر في العديد من الآيات القرآنية.

١- يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٣٠٦/٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ١٣٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (٢٤/٤).

٢- يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣٩١/١)، ((تفسير الرازي)) (٣٠٦/٨)، ((تفسير البيضاوي)) (٣٠/٢).

٣- ابن القيم، عدة الصابرين، ص ٧١.

قال تعالى﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠).

في هذه الآية ترغيبٌ في فضيلة الصبر؛ لما أعده المولى –عز وجل– من الجزاء العظيم للذين يصبرون على كل ما يصيبهم فيها من ألم وحزن ونصب وتعب، قال الشوكاني: "أي يوفيهم الله أجرهم في مقابلة صبرهم بغير حساب، ففي الآية ترغيب على الصبر وذلك بتبيان ثواب الصابرين وأجرهم اللامحدود والذي لانهاية له[١]

وفي قَولِه: إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ تَرغيبٌ في التَّقْوى المَأمورِ بها. وإيثارُ (الصَّابِرينَ) على (المُتَّقينَ)؛ لِلإيذانِ بأَنَّهم حائزونَ لِفَضيلةِ الصَّبرِ كحيازَتِهم لِفَضيلةِ الإحسانِ؛ لِمَا أُشيرَ إليه مِن استِلزامِ التَّقْوى لهما، مع ما فيه مِن زيادةِ حثٍّ على المُصابَرةِ والمُجاهَدةِ في تَحمُّلِ مَشاقِّ المُهاجَرةِ ومَتاعِبِها[٢].

–والحَصرُ المُستَفادُ مِن إِنَّمَا مُنصَبٌّ على القَيدِ، وهو بِغَيْرِ حِسَابٍ، والمَعنى: ما يُوَفَّى الصَّابِرونَ أجْرَهم إلَّا بغَيرِ حِسابٍ، وهو قَصرُ قَلبٍ مَبنيٌّ على قَلبِ ظَنِّ الصَّابرينَ أنَّ أجْرَ صَبرِهم بمِقدارِ صَبرِهم[٣]، أيْ: أنَّ أجْرَهم لا يَزيدُ على مِقدارِ مَشَقَّةِ صَبرِهم.

–وفي ذِكرِ التَّوفيةِ وإضافةِ الأجْرِ إلى ضَميرِهم أَجْرَهُمْ، تَأنيسٌ لهم بأنَّهمُ استَحَقُّوا ذلك، لا مِنَّةَ عليهم فيه، وإنْ كانتِ المِنَّةُ للهِ على كُلِّ حالٍ) [٤].

١–الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، ط١، المكتبة العصرية، صيدا–بيروت، ١٤١٨ه–١٩٩٧م، ٤/٥٦٣–٦٢.

٢– أبو السعود، تفسير أبي السعود، (٧/٢٤٦).

٣– الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٣/٣٥٦).

٤– الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٣/٣٥٦).

– وقولُه: بِغَيْرِ حِسَابٍ كِنايةٌ عنِ الوَفرةِ والتَّعظيمِ؛ لِأنَّ الشَّيءَ الكثيرَ لا يُتصَدَّى لِعَدِّه، والشَّيءَ العظيمَ لا يُحاطُ بمِقدارِه؛ فإنَّ الإحاطةَ بالمِقدارِ ضَربٌ مِنَ الحِسابِ، وذلك شَأنُ ثَوابِ الآخِرةِ الَّذي لا يَخطُرُ على قَلبِ بَشَرٍ([1]).

الترغيب في الثمرة المرجوة(الجنة):-

ما من مؤمنٍ يعبد الله تعالى حق عبادته إلا رغبة في جنته، فهي الثمرة التي يريد كل عابد قطافها، وهي أمل المؤملين، وأمنية كل العابدين؛ لذلك ذكرها الله سبحانه وتعالى في العديد والعديد من آيات الذكر الحكيم، فالله سبحانه وتعالى يُرغِّب عباده في جنات الخلد ويُعزِّز في نفوسهم حبَّها، فشَوْقُهم إليها يدفعهم للتفاني، والتضحية بما يملكون للحصول على وعد الله لهم، فتسهل عليهم الصعاب وتهون أمامهم المشقات، في سبيل الجزاء الموعود من ربهم، فقد أعد الله في الجنة لعباده غرفًا يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، متألقة كأنها النجوم، ولقد ورد لفظ «غرف» في القرآن الكريم مرتين في سورة الزمر، وورد لفظ «غرفًا» مرة واحدة في سورة العنكبوت، وورد لفظ «الغرفات» مرة واحدة في سورة سبأ.

قال تعالى﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (التوبة: ٧٢).

قال الصابوني: "جناتٍ وارفة الظلال، تجري من تحت أشجارها الأنهار لابثين فيها أبدًا، لا يزول عنهم نعيمها، ولهم فيها منازل يطيب العيش فيها في جنات الخلد، قصور من اللؤلؤ والياقوت، ورضوان الله أكبر من ذلك كله"[2].

١- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (٣٥٦/٢٣).

٢- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم بيروت، المجلد الأول، ص٥٤٨.

وفي الآية القرآنية لطائف بلاغية، منها:

وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ تفصيلٌ لآثارِ رَحْمتِهِ الأخرويَّةِ إِثْرَ ذِكْرِ رَحْمتِهِ الدُّنيويَّةِ، وفيه إظهارٌ في مَوقِعِ الإضمارِ- حيثُ لم يَقُلْ: وَعَدَهم اللهُ-؛ لزِيادةِ التَّقريرِ، والإشعارِ بعِلِّيَّةِ وَصْفِ الإيمانِ لحُصولِ ما تَعلَّقَ بـــه الوَعْـــدُ، وعَدَمُ التَّعرُّضِ لذِكْرِ ما مَرَّ مِن الأمرِ بالمعروفِ وغيرِ ذلك؛ للإيذانِ بأنَّهُ مِنْ لوازِمِه ومُسْتَتْبعاتِه (١).

قولُه: جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ..... ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِـــيمُ فيـــه تفصيلٌ للوعدِ الإجماليِّ الذي في قولِه: سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ؛ تَنْبيهًا علـــى أنَّ تِلْـــكَ الرَّحْمةَ هي هذه الأشياءُ(٢).

قولُه: وَرِضْوانٌ مُنَكَّرٌ للتَّنويعِ، يَدُلُّ على جِنْسِ الرِّضوانِ، وإنَّما لَمْ يُقْرَنْ بلامِ تَعريفِ الجِنْسِ؛ ليُتوسَّلَ بالتَّنكيرِ إلى الإشعارِ بالتَّعظيمِ؛ فإنَّ رِضوانَ اللهِ تعالى عظيمٌ(٣)، وتأمَّلْ كيف جاء بالرِّضوانِ مُبتدأً مُنكَّرًا في سِياقِ الإثبـــاتِ، مُخبَرًا عنه بأنَّه أكبَرُ مِن كُلِّ ما وُعِدوا به فأيُّ شَيءٍ كان مِن رضاه عن عَبدِه، وأيسَرُ شَيءٍ مِن رضوانِه؛ أكبَرُ مِن الجنَّاتِ وما فيها مِن المساكِنِ الطَّيِّبةِ وما حَوَتْه، وعَدَمُ نَظْمِه في سِلكِ الوَعْدِ مع عِزَّتِه في نَفْسِه؛ لأنَّه مُتحقِّقٌ في ضِمْنِ كُلِّ موعودٍ، ولأنَّه مُسْتَمِرٌّ في الدَّارين(٤).

قولُه: ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ فيه التعبيرُ باسْمِ الإشارةِ ذَلِكَ وما فيه مِـــنْ معنى البُعْدِ؛ للإيذانِ ببُعْدِ دَرَجتِهِ في العِظَمِ والفخامةِ(٥).

١- أبو السعود، تفسير أبي السعود، (٨٣/٤).

٢- أبو حيان، تفسير أبي حيان، (٤٦٠/٥).

٣- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٦٤/١٠).

٤- أبو السعود، تفسير أبي السعود، (٨٣/٤).

٥- أبو السعود، تفسير أبي السعود، (٨٣/٤).

وفيه التأكيدُ بضميرِ الفَصلِ هُوَ وبالجملةِ الاسميَّةِ، والوصفِ بـــ العَظِيمُ المفيدِ للأهميَّة، وكذلك أُتِي بضمير الفصل هُوَ لتخصـــيصِ الفـــوزِ بالفضـــلِ المشارِ إليه، وهو قصرٌ لإفادةِ معنى الكمالِ، كأنَّه لا فوزَ غيـــرُه ، ودخـــولُ ضميرِ الفصلِ هُوَ أيضًا فيه تَنْبِيهٌ على عِظَمِ شَأنِ الْمَذْكُورِ([1]).

١- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (١١/٤٠) و(٢٥/٣٢٠).

المبحث الثاني:
الموعظة السَّمية في آيات الترهيب

لم يقتصر القرآن الكريم في دعوته على جانبٍ دون مراعاة للجانب الأخر، فكُلاً من الترغيب والترهيب كشقي رحى لا يستقيم أحدهما بدون الآخر، وقد راعى القرآن ذلك جيدا عندما قسم الموعظة بينهما؛ مراعاة لأحوال البشر، فأتى بالترغيب، وهو ما تناولناه في المبحث السابق، ثم الترهيب وهو ما نتناوله في هذا المبحث، وقد وازن بينهما توازنا عجيبًا معجز يدل على أنه من لدن عليمٍ خبير.

ذكر الله سبحانه وتعالى العديد من آيات الترغيب والترهيب في القرآن الكريم من باب(رغبًا ورهبا)، فمن لا يغريه الترغيب بآماله يردعه الترهيب بآلامه.

"فنلاحظ أن بعضًا من المسلمين اليوم لا يرى الحاجة إلى مناقشة السلبيات التي يقع فيها المسلم بل الاكتفاء بذكر الإيجابيات والتركيز عليها بحجة أن ذلك يصيب المسلمين بضعف على المستوى الدعوي والتربوي، لذلك يرون الاقتصار على ذكر الترغيب دون الترهيب وفي اعتقادنا أن ذلك قتل للعمل الدعوي والتربوي لأن القرآن ركز على الترغيب والترهيب لما لها من أهمية في عملية تسديد وتقويم خلق المسلم وعمله الدعوي[١].

قال تعالى وهو يصف نصيحة لقمان لابنه مستخدمًا أسلوب الترغيب والترهيب، قال تعالى﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ

١- عمر عبيد حسنة، مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، ط ١، المعهد العالي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٤١٢ه- ١٩٩١م، ص٧٤.

ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ (لقمان: ١٧ – ١٩).

ودراسة الموعظة في القرآن الكريم تقتضي أن نتناول الشق الآخر وهو الترهيب، الترهيب من المعاصي التي تتعلق بالقلوب في المطلب الأول، ثم نتناول بعد ذلك الترهيب من تناول الحرام وأهوال النار في المطلب الثاني من تلك الدراسة وهذا على النحو الاتي:-

المطلب الأول: الترهيب من بعض المعاصي المتعلقة بالقلوب.

المطلب الثاني: الترهيب من تناول الحرام وأهوال النار.

المطلب الأول

الترهيب من بعض المعاصي المتعلقة بالقلوب

رهَّب القرآن الكريم من المعاصي لما يترتب عليها من فساد وأضرار جسيمة على الفرد والمجتمع،والقرآن الكريم ينفر ويرهب من المعاصي والآثام ويضفي عليها صورا كالحة تجعل النفس البشرية تعرض عنها وتنفر منها، وقد استثمر القرآن الألفاظ والتراكيب والتصوير البياني للترهيب من المعاصي.

ذكرنا أن القلب بالنسبة للأعضاء كالملك بالنسبة للجوارح، وتحدثنا في المطلب السابق عن الترغيب في الأعمال المتعلقة بالقلوب، وفي هذا المطلب الذي نتناول فيه الترهيب، سنتحدث في فرعه الأول عن الترهيب من المعاصي التي محلها القلب، وكما بدأنا في المطلب الأول من الترغيب بالتعريف نبدأ هنا أولا بتعريف الترهيب.

تعريف الترهيب لغة واصطلاحًا

الترهيب لغة: التخويف، ويُقال: رهب الشيء، أي خافه[١]

١- خليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين (رهب): ٤٧/٤.

الترهيب اصطلاحًا: ما يُحذِّر من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله[١]، أو هو تهديد بعقوبة تترتَّب على اجتراح ذنب نهى الله عنه، أو التهاون بأداء فريضة أمر الله بها[٢].

والمتأمِّل في القرآن يُلاحظ الترهيب من المعاصي والآثام التي لا يرضاها الله لعباده، فيتوعَّد الله كل ضالٍّ بالخزي في الدنيا، والعذاب في الآخرة. ويُحذِّر الله في كتابه من: الكفر بالله ومعصيته ومعصية رسوله-صلى الله عليه وسلم-، وإنكار اليوم الآخر وقيام الساعة، واتباع الشيطان، واتباع الهوى، والظلم، وأكل الربا، والنفاق، ورمي المحصنات، ونار جهنم[٣].

الترهيب من الكفر بالله تعالى، واتباع الهوى

١- الترهيب من الكفر بالله تعالى:

يُقال ليس بعد الكفر ذنب، فهو ليس من أعظم الذنوب بل هو أعظمها، وقد رهَّب الله تعالى من الكفر بالله وعدم الإيمان به؛ لأنه من المعاصي التي لا تُغتفر، والكفر بالله أعظم الكفر؛ لأنه كفر بكتبه ورسله وملائكته وآياته ونعمه، وكل ما أراده الله معتمد على إثبات وجوده ووحدانيته، ولهذا نجد الوعيد ترهيبًا لكل مَن كفر بالله فيتجنَّب الناس الكفر به، قال تعالى﴿ ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِۖ كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ) (الملك: ٦ - ٨).

١- عبدالكريم زيدان، أصول الدعوة، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ، ١٣٩٥ ه – ١٩٧٥م، ص٦٧٠.

٢- زياد العاني، أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية جامعة بغداد، ١٩٩٥م، ص: ٢١٢.

٣- كفايت همداني، الترغيب والترهيب في السياق القرآني، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور- باكستان، العدد الثاني والعشرون، ٢٠١٥مم، ص٩٨.

يقول الله في هذه الآيات مُحذِّرًا من الكفر ومُرّهِّبًا منه، ومُبيِّنًا لحال مقترفه، يقولُ تعالى مُبيِّنًا ما أعدَّه لكلِّ كافرٍ: "وللَّذين كَفَروا بربِّهم عذابُ جَهنَّمَ في الآخِرةِ، وبئسَ المُنقَلَبُ والمَرجِعُ: جَهنَّمُ! ثمَّ يُبيِّنُ سبحانَه حالَهم حينَما يُلْقَونَ جميعًا في النَّارِ، فيقولُ: إذا أُلقِيَ فيها الكُفَّارُ سَمِعوا لها صَوتًا فَظيعًا كأقبَحِ ما يكونُ مِن صوتِ الحميرِ، وهي تَغْلي؛ مِن شِدَّةِ لهيبِها. تُوشِكُ أن تَتقَطَّعَ؛ مِن غَيظِها على أهلِها! كُلَّما أُلقِيَ فيها جماعةٌ مِن الكافِرينَ قال لهم خَزنَتُها: ألَمْ يَأتِكم في الدُّنيا نذيرٌ يُنذِرُكم عَذابَ اللهِ تعالى؟! قالوا: بلى، قد جاءَنا نذيرٌ فكذَّبْنا، وقُلْنا: ما نزَّلَ اللهُ على أحدٍ مِن شَيءٍ مِنَ الوَحيِ، ما أنتُم إلَّا في ذَهابٍ بَعيدٍ عن الحَقِّ والصَّوابِ!

وفي قوله: {وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} تَتميمٌ ؛ لئلَّا يُتوهَّمَ أنَّ العذابَ أُعِدَّ للشَّياطينِ خاصَّةً، والمعْنى: ولجَميعِ الَّذين كَفَروا باللهِ عَذابُ جهنَّمَ، فالمرادُ عامَّةُ المشركين، ومِن أجْلِ ما في الجُملةِ مِن زِيادةِ الفائدةِ غايَرَت الجُملةَ الَّتي قبْلَها؛ فلذلك عُطِفَت عليها.

-وتَقديمُ المجرورِ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا؛ للاهتمامِ بتَعلُّقِه بالمسنَدِ إليه، والمبادَرةِ به.

- وجُملةُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ حالٌ أو مُعترِضةٌ لإنشاءِ الذَّمِّ، وحُذِفَ المخصوصُ بالذَّمِّ؛ لدَلالةِ ما قبْلَ (بِئس) عليه، والتَّقديرُ: وبِئسَ المصيرُ عَذابُ جهنَّمَ[1] .

٢- الترهيب من اتباع الهوى:

ورد النهي عن اتباع هوى النفس والنهج غير القويم في أكثر من آية، قال تعالى: (يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ) (ص: ٢٦).

١- ابن عاشور، التحرير والتنوير،٢٩/٢٣.

يقول الله في هذه الآية موجِّهًا نبيَّه داودَ عليه السَّلامُ ووُلاةَ الأمورِ: يا داودُ إنَّا جعَلْناك خَليفةً في الأرضِ؛ فاحكُمْ بيْنَ النَّاسِ بالعَدلِ، ولا تتَّبِعْ هوى نَفْسِك فيُضِلَّك عن طريقِ الحَقِّ، إنَّ الَّذين يَميلونَ عن طَريقِ اللهِ لهم عذابٌ شَديدٌ؛ بسَبَبِ نِسيانِهم يومَ القيامةِ، فالله سبحانه وتعالى ينهى عن اتباع هوى النفس، وتوّعد أتباعه بالعذاب الشديد يوم القيامة.

-وتَقدَّمَ الأمْرُ بالحُكمِ بالحَقِّ على قَولِه: ولَا تَتَّبِعِ الْهَوَى؛ لِيَكونَ تَوطِئةً لِلنَّهيِ عن اتِّباعِ الهَوى؛ سَدًّا لِذَريعةِ الوُقوعِ في خَطَأِ الحَقِّ؛ فإنَّ داودَ عليه السَّلامُ ممَّن حَكَمَ بالحَقِّ، فأمْرُه به باعتِبارِ المُستَقبَلِ.

-والهَوى: كِنايةٌ عن الباطِلِ والجَورِ والظُّلمِ.

- والتَّعريفُ في الْهَوَى تَعريفُ الجِنسِ المُفيدُ لِلاستِغراقِ؛ فالنَّهيُ يَعُمُّ كُلَّ ما هو هَوًى؛ سواءٌ كان هَوى المُخاطَبِ، أو هَوى غَيرِه، مِثلَ هَوى زَوجِه ووَلَدِه، وسَيِّدِه وصَديقِه.

ومنه قوله تعالى: (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ) (القصص: ٥٠).

يخاطب الله نبيه محمد كأنه يقول له: فاعلَمْ -يا محمَّدُ- أنَّهم يتَّبِعونَ أهواءَهم، ولا أحَدَ أضَلُّ عن الحَقِّ ممَّن اتَّبَع هَوى نفْسِه وترَك هُدى اللهِ، إنَّ اللهَ لا يهدي القومَ الظَّالمينَ.

قال السعدي: "لا يوجد أحد أضل منه بعمله هذا، فمن اتَّبع هواه كان من أضل الناس وأشقاهم"[١].

١- ابن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ٢٠٠٢، ٧٢٤.

هذه الآية: احتباكٌ؛ حيثُ أثبتَ أوَّلًا اتِّباعَ الهوى دليلًا على حذْفِه ثانيًا، وثانيًا الظُّلْمَ دليلًا على حذْفِه أوَّلًا.

– وفيه مُناسبةٌ حَسَنةٌ، حيثُ قال هنا: وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ أي: لا أحدَ أضَلُّ، وهو استِفهامٌ مَنفيٌّ.

الترهيب من سوء الظن

ورد في القرآن الكريم لفظ [ظن ومشتقاتها] تسعًا وخمسين مرة، أغلبها تضمنت الظن السيء بالله تعالى والإنكار والترهيب من هذا الخلق الفاسد، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ (الحجرات: ١٢).

يأمُرُ اللهُ تعالى عِبادَه المؤمنينَ أنْ يَجتنِبوا كثيرًا مِن الظَّنِّ؛ وذلك لأنَّ بعضَ الظَّنِّ ذنْبٌ وإثْمٌ، ويَنهاهم عن التَّجسُّسِ، وعن غِيبةِ بعضِهم بعضًا، ثمَّ يَذكُرُ اللهُ تعالى تشبيهًا يُنفِّرُ مِن الغِيبةِ أكملَ تنفيرٍ، فيقولُ: أيُحِبُّ أحدُكم أنْ يَأكُلَ لَحْمَ أخيهِ بعْدَ مَوتِه؟! فإذا كَرِهْتُم ذلك فعلَيكم أنْ تَكرَهوا غِيبةَ المسلمِ كذلك، ثمَّ يأمُرُهم أنْ يتَّقُوا اللهَ؛ إنَّ اللهَ توَّابٌ رَحيمٌ.

فهذا نهيٌ من الله سبحانه وتعالى وتحذيرٌ من الخوض في الكثير من الظن، رُغم أن البعض –فقط– إثمٌ واعتقادٌ فاسد؛ وذلك سدًّا لباب الفتنة وإغلاقًا لمداخل إبليس، والظن السيء يؤدي إلى إثم آخر ألا وهو التجسس، وقد نهى الله تعالى عن التحسس والتجسس.

–في هذه الآية: أُعيدَ النِّداءُ خامسَ مرَّةٍ؛ لاختِلافِ الغرَضِ والاهتِمامِ به؛ وذلك أنَّ المَنهيَّاتِ المذكورةَ بعدَ هذا النِّداءِ مِن جِنسِ المُعامَلاتِ السَّيِّئةِ الخفيَّةِ الَّتي لا يَتفطَّنُ لها مَن عُومِلَ بها، فلا يَدْفَعُها، فما يُزيلُها مِن نفْسِ مَن عامَلَه بها؛ ففي قولِه تعالى: اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ تأْديبٌ عظيمٌ يُبطِلُ ما كان فاشيًا

في الجاهليَّةِ مِن الظُّنونِ السَّيِّئةِ والتُّهَمِ الباطلةِ، وأنَّ الظُّنونَ السَّيِّئةَ تَنشَأُ عنها الغَيرةُ المُفرِطةُ والمكايدُ والاغتِيالاتُ، والطَّعنُ في الأنساب، والمُبادَأةُ بالقِتالِ؛ حذَرًا مِن اعتِداءٍ مَظنونٍ ظنًّا باطلًا، كما قالوا: خُذِ اللِّصَّ قبْلَ أنْ يَأخُذَك.

الترهيب من الكذب

وقد ورد الترهيب من الكذب في القرآن الكريم في مواضع عديدة منها، قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (الزمر: ٣).

والمُرادُ بـ ﴿مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ الَّذين اتَّخَذوا مِن دونِه أولياءَ، أيْ: المُشرِكونَ، فكان مُقتَضَى الظَّاهِرِ الإتيانَ بضَميرِهم، وعُدِلَ عنه إلى الإضمارِ، والتَّعبيرِ عنهم بطَريقِ المَوصوليَّةِ؛ لِمَا في المَوصولِ مِنَ الصَّلاحيةِ لِإفادةِ الإيماءِ إلى عِلَّةِ الفِعلِ؛ لِيُفيدَ أنَّ سَبَبَ حِرمانِهمُ التَّوفيقَ هو كَذِبُهم وشِدَّةُ كُفرِهم، فلا يوفق الكاذب للهدى والصراط المستقيم.

ومن شواهده قوله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ (التوبة: ٧٧).

يخبر الله تعالى أنَّ مِن المُنافِقينَ مَن عاهد اللهَ لَئِن رزَقَهم مِن فَضلِه لَيُخرِجَنَّ الصَّدقةَ، ولَيكونَنَّ من الصَّالحينَ الذين يؤدُّونَ حَقَّ اللهِ وحَقَّ عِبادِه، فلمَّا رزَقَهم اللهُ مِن فَضلِه بَخِلوا به، وتولَّوا عن طاعةِ اللهِ تعالى، والوفاءِ بعَهدِه، مُعرِضينَ ومُنصَرفينَ عن ذلك، فجعل اللهُ عاقبةَ ذلك نِفاقًا في قلوبِهم، يستمِرُّ معهم إلى يومِ يُتوفَّونَ ويَلقَونَ اللهَ؛ بسبَبِ إخلافِهم اللهَ ما وَعَدوه، وبسببِ كَذِبِهم في كلامِهم، وقد عبر الله تعالى في قوله: {وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} عَنْ كَذِبِهم بصيغةِ كَانُوا يَكْذِبُونَ لدَلالةِ كَانَ على أنَّ الكَذِبَ كائنٌ فيهم، ومُتمكِّنٌ منهم، ودَلالةِ المُضارِعِ يَكْذِبونَ على تَكرُّرِهِ وتَجدُّدِه، واستمرارِه؛ لأنَّ ذلك

شأنُهم الدَّائمُ، الذي هو أخَصُّ لوازمِ النِّفاقِ، بينما عبَّرَ عن إخلافِهم الوعدَ بالفِعلِ الماضي، فقال: بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ؛ لأنَّه في حادثةٍ وَقَعَت[1].

الترهيب من الحسد

من أقبح المعاصي التي رهَّب القرآن منها، وأول معصية عصي بها الله سبحانه وتعالى، والذنب الذي كان سببًا في طرد إبليس من الجنة، وقد وردت هذه اللفظة أربع مرات في القرآن الكريم، كلها ترهيب وتحذير وتخويف من اقترافه لأنه سبب في إحباط العمل.

قال تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا) (النساء: ٥٤).

بين الله تعالى أنَّ الدَّافعَ لهم حسَدُهم للنَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابِه على ما رزَقه اللهُ مِن النُّبوَّةِ؛ لكونِه مِن العربِ، وليس من بني إسرائيلَ، فلماذا يحسُدونهم وليس هذا أوَّلَ فضلٍ يتفضَّلُ اللهُ به على عبادِه؟ فقد تفضَّل اللهُ على أسلافِهم من ذُرِّيَّةِ إبراهيمَ فأعطاهم النُّبوَّةَ، وأنزَل عليهم الكتبَ، والحكمةَ، وآتاهم مُلكًا واسعًا كبيرًا.

وأَمْ مُنقطعةٌ بمعنى (بل)، وهمزةِ الاستفهامِ لإنكارِ الحسَدِ واستقباحِه .

فالحسد عقيدة الكفر، وضد الحق، وبه تتولد العداوة وهو سبب كل قطيعة، ومنتج كل وحشة، ومفرق كل جماعة، وقاطع كل رحم بين الأقارب، ومحدث كل فرقة بين الأصدقاء، وملقح كل شر بين الخلطاء، ثم هو أول خطيئة ظهرت في السماء، وأول معصية حدثت في الأرض[2].

١- محمد رشيد رضا، المنار ٤٨٢/١٠.

٢- الثعالبي، أبو منصور، الاقتباس من القرآن الكريم ، ط ١ ، مطبعة جامعة. بغداد ، ١٩٧٣م، ص ٢٥

الترهيب من الكبر

وردت لفظ الكبر في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، وقد حذر الله تعالى من مغبَّة الكبر، فقال:﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ) الزمر:٦٠

والاستِفْهامُ "أَلَيْسَ" تَقْريريٌّ، وإنَّما وُجِّهَ الاستِفْهامُ إلى نَفْيِ ما المقصودُ التَّقْريرُ به، جَرْيًا على الغالِبِ في الاستِفْهامِ التَّقْريريِّ، وهي طَريقةُ إرْخاءِ العِنانِ للمُقرَّرِ بحيثُ يُفتَحُ له بابُ الإنكارِ، عِلمًا مِن المُتكلِّمِ بأنَّ المُخاطَبَ لا يَسَعُه الإنكارُ، فلا يَلبَثُ أنْ يُقِرَّ بالإثباتِ. ويجوزُ أنْ يكونَ الاستِفْهامُ إنْكاريًّا؛ ردًّا لاعتِقادِهِم أنَّهم ناجُونَ مِن النَّارِ، الدَّالِّ عليه تَصميمُهم على الإعْراضِ عن التَّدبُّرِ في دَعْوةِ القُرآنِ(١).

-وفيه تَوعُّدٌ للكافِرينَ تَوعُّدًا فيه احتِقارُهم على جِهةِ التَّوقيفِ.

-وقولُه: لِلْكَافِرِينَ ممَّا قامَ فيه الظَّاهِرُ مَقامَ المُضمَرِ، أي: مَثْوًى لهم، وفيه تَنبيهٌ على عِلَّةِ كَذِبِهم وتَكْذيبِهم، وهو الكُفرُ ، وأفاد الإظهارُ في مَقامِ الإضمارِ أيضًا العمومَ -أي أنَّه مَثْوًى له ولغيرِه مِن الكافرينَ-، وتسجيلَ الوصفِ على هؤلاء بأنَّهم كفَّارٌ.

أو التَّعريفُ في (الكافِرينَ) للجِنْسِ المُفيدِ للاستِغْراقِ، فشَمِلَ الكافِرينَ المُتحَدَّثَ عنهم شُمولًا أوَّليًّا، وتكونُ الجُملةُ مُفيدةً للتَّذْييلِ أيضًا، ويكونُ اقتِضاءُ مَصيرِ الكافِرينَ المُتحَدَّثِ عنهم إلى النَّارِ ثابتًا بشبِهِ الدَّليلِ الَّذي يعُمُّ مَصيرَ جَميعِ الجِنْسِ الَّذي هُمْ من أصْنافِه، وليس في الكلامِ إظهارٌ في مَقامِ الإضمارِ

- والجَمْعُ في الكافِرينَ باعتِبارِ معْنَى (مَن) في قَولِه: فَمَنْ أَظْلَمُ؛ فإنَّه يُرادُ به جَمْعٌ، كما أنَّ الإفْرادَ في الضَّمائرِ السَّابقةِ باعتِبارِ لَفظِها، أو لجِنْسِ الكَفَرةِ، وهُم داخِلونَ في الحُكمِ دُخولًا أوَّليًّا، وعلاج الكبر يكون بالمعرفة

١-الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٤/٦.

اليقينية معرفة المتكبر لربه ولنفسه، فيعرف أن الكبرياء لله وحده حصراً، ولا يجوز مطلقاً لأي مسلم أن يتسرب الكبر إلى قلبه، وأن يعرف المتكبر قدر نفسه فهو نشأ من نطفة قذرة ثم يصير جيفة عفنة وان كل ما عنده من علم ومال وسلطان هو محض عطاء الله له، وان لو شاء الله لسلبه ذلك كله[1].

المطلب الثاني

الترهيب من تناول الحرام وأهوال النار

سأتعرض في هذا المطلب لأنواع معينة من أكل الأموال الحرام، وبيان ترهيب الله سبحانه وتعالى منها في العديد من الآيات القرآنية في سور متعددة من القرآن، من خلال النقاط التالية:

الترهيب من أكل أموال الناس بالباطل

وقد ورد في القرآن الكريم النهي عن أكل أموال الناس بالباطل،وقد ورد في القرآن الكريم النهي عن أكل أموال الناس بالباطل،قال تعالى﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة: ١٨٨).

نهاهم سبحانه وتعالى عن أكْلِ أموال بعضهم بعضًا بغير حقٍّ، ونهاهم عن الاحتيالِ بأنْ يتوصَّلوا بحُكْم الحاكم إلى أكلِ طائفةٍ من أموال النَّاس بالحرام، مع عِلمهم بأنَّ ما يقُومون به حرامٌ.

وقد وردَ قوله تعالى: {وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ} بعد قوله سبحانه: و{لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ} من باب ذِكر الخاصِّ بعد العامِّ، وفائدته: بيان شدَّة شَناعة هذه الصورة، ولأنها جامعةٌ لمحرماتٍ كثيرة (٢)، ومن الترهيب

١- د. عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة ، ص ٣٦

٢- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ١٨٧/٢.

من أكل أموال اليتامى ظلمًا وبالباطل، قوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا) (النساء: ١٠).

والآية فيها استئنافٌ جِيءَ به لتقريرِ مضمونِ ما فُصِّل من الأوامِر والنواهي[١] {يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا] فيه من ألوان البلاغة ما يلي:

-التَّعريض؛ حيث عرَّض بذِكر البُطون لخِسَّتهم وسُقوطِ هِمَمِهم، والعربُ تذمُّ بذلك.

-تأكيدُ الحقيقةِ بما يَرفع احتمالَ المجازِ.

-الاختِصاص؛ حيثُ خصَّ البُطونَ بالذِّكْر دون غيرِها؛ لأنَّها محلٌّ للمأكولاتِ ، وذِكْر البُطون- مع أنَّه معلوم أنَّ الأكْلَ لا يكونُ إلَّا في البُطون- ؛ للتأكيدِ والمبالغةِ، ولتَجسيدِ بشَاعةِ الجُرم المقترَفِ بأكْل مالِ اليتيمِ؛ حتى يَتأكَّدَ عِند السَّامِع بشاعةُ هذا الجُرمِ بمزيدِ تصويرٍ.

- تأكيدُ هذا التشنيعِ على الظالمِ لليَتيمِ في مالِه بتَخصيصِ ذِكْرِ الأكْلِ؛ لأنَّه أبشعُ الأحوالِ التي يُتناوَلُ مالُ اليتيمِ فيها[٢].

ثانياً: الترهيب من الظلم:-

قال تعالى﴿ ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ) [البقرة:٢٧٠]، والآية تعجُّ بالصور البلاغية، منها:

-إظهار النار في موضع الإضمار: لتهويل أمرها وذكر الإدخال في مورد العذاب لتعيين كيفيته وتبيين غاية فظاعته.

في الآية إطنابٌ وهو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، منها:

- ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضل الخاص.

---

١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (١٤٨/٢).

٢) يُنظر: ((تفسير الزمخشري- حاشية ابن المنير)) (٤٧٩/١)، ((تفسير الرازي))، (٥٠٦/٩)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحيي الدين درويش (١٦٨/٢).

– ذكر العام بعد الخاص فإفادة الشمول مع العناية بالخاص.

– الإيضاح بعد الإبهام.

– التكرير: فقد تكرر ذكر «ربّنا» وذلك للتضرع، وإظهار لكمال الخضوع، وعرض للاعتراف بربوبيته تعالى مع الإيمان به.

– الاعتراض: وهو أن يؤتى خلال الكلام أو بين كلامين متصلين في المعنى بجملة لا محلّ لها من الإعراب.

والاحتراس: وهو كل زيادة تجيء لدفع ما يوهمه الكلام مما ليس مقصودا.

قال البغوي– رحمه الله–في تفسير الآية: "ما للظالمين من أعوان يدفعون عنهم عذاب الله يوم القيامة"(١).

وقد وردت لفظة [الظلم] اثنتي عشرة مرة في القرآن الكريم وما ذلك إلا إنكارًا على الظلم وأهله، قال تعالى:

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾﴾[النمل:٥٢]، قال سيد قطب في تفسير هذه الآية: "لقد كانوا قبل لحظات يدبرون ويمكرون، ويحسبون أنهم قادرون على تحقيق ما يمكرون، فأصبحوا في ذلك الزمن المتناهي في الصغر هلكى، وإذا الدور خالية والبيوت خالية(٢).

الترهيب من أكل الربا:

ورد النهي عن أكل الربا والتحذير منه في خمسة مواضع في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ

١– الحافظ البغوي، تفسير البغوي، ص ٣٣٥.

٢– سيد قطب، في ظلال القرآن، ط ٧، دار الشروق، بيروت، لبنان، ١٣٩٨ه– ١٩٧٨م، ٢٦٤٦/٥.

ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ) (البقرة: ٢٧٥).

يُعَدُّ أكلُ الربا من أكبر الكبائر في التشريع الإسلامي؛ لذا فإن الإسلام قد نهى عنه وحذر أشد التحذير من التعامل بالربا وهذه هي مهمة الدعاة تذكير الناس، وترغيبهم بما رغب به وتحذيرهم مما رهب الله منه وحث الناس على الابتعاد عنه، لأن الله أعلن الحرب على من استمر بالتعامل بالربا ولم ينته عما نهاه الله عنه، قال تعالى: (فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ) (البقرة: ٢٧٩).

من الصور البلاغية:

– في قوله: {لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ} فيه تشبيه تمثيلي، حيث شبَّه آكِلي الرِّبا عند خروجهم من أجداثهم بمَن أصابه مسٌّ فاختلَّ طبعُه، وانتكستْ حاله([1]).

وقوله: {مِنَ المَسِّ} فيه تأكيدٌ؛ ليظهر المرادُ من تخبُّط الشَّيطان؛ فلا يظنُّ أنه تخبُّط مجازيٌّ بمعنى الوسوسة([2])..

–قوله: {قالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا} فيه تشبيهٌ مقلوب، حيث شبّه البيع بالرِّبا؛ إشارةً إلى أنَّهم عكَسوا الكلام؛ للمبالغة، حتَّى جعلوا الرِّبا أصلًا، والبيع فرعًا فشبَّهوه به، وهو في البلاغة مرتبةٌ عُليا، يُصبح المشبَّه به قائمًا بالمشبَّهِ وتابعًا له([3]).

–قوله: {يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ} بيْن (الرِّبا) وبين (الصَّدقات) مناسبةٌ من جهة التضاد؛ وذلك لأنَّ الصَّدقة عبارة عن تنقيص المال بسبب أمْر الله بذلك، والرِّبا عبارة عن طلب الزِّيادة على المال مع نهي الله عنه،

١– محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، البحر المحيط، ، ٧٠٦/٢.

٢– القاسمي، محاسن التأويل،٢١٩/٢.

٣– القاسمي، محاسن التأويل،٢٢٥/٢.

فكانَا متضادَّينِ؛ فلمَّا حصَل بين هذين الحُكمين هذا النوع من المناسبة، لا جرمَ ذُكِر عقيب حُكم الصَّدقات حُكمُ الربا.

وفي ذِكر (المَحْق) و(الإرباء) بديعُ الطِّباق، وفي ذِكر (الرِّبا) و(يُربي) بديعُ التَّجنيس المغاير(١).

-قوله: وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ فيه تغليظُ أمر الرِّبا، وإيذان أنَّه من فِعل الكفَّار لا مِن فِعل أهل الإسلام، وأتى بصيغة المبالغة في الكافِر والآثم (كفَّار- أثيم)، وإنْ كان تعالى لا يحبُّ الكافر؛ تنبيهًا على عِظم أمْر الرِّبا، ومخالفة الله، وأنَّه لا يقول قولَهم ويُسوِّي بين البيع والرِّبا؛ ليستدلَّ به على أكْل الرِّبا، إلَّا مبالِغٌ في الكفر، مبالِغ في الإثم، ومع المبالغة والتوكيد في أثيم فقد أفاد ذِكره أيضًا زوالَ الاشتراك الذي في (كفَّار)؛ إذ يقع على الزرَّاع الذين يسترون الأرض(٢).

ومفاد التركيب: أنَّ الله لا يحبُّ أحدًا من الكافرين الآثمين؛ لأنَّ كلمة (كل) من صيغ العموم؛ فهي موضوعةٌ لاستغراق أفراد ما تُضاف إليه .

الترهيب من البخل والشح

وردت لفظة [بخل] اثنتي عشرة مرة في القرآن الكريم، أما عن الفرق بين البخل والشح:

البخل لغة: البُخْلُ ضِدُّ الكَرَمِ والجُودِ، وقد بَخِلَ بكذا: أي ضنَّ بما عنده ولم يجُدْ(٣)..

البخل اصطلاحًا: البُخْلُ: إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه(٤).

١- الفخر الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ٧٢/٧.

٢- القاسمي، محاسن التأويل،٢٢٩/٢.

٣- الزبيدي، تاج العروس، ٦٢/٢٨، الرازي، مختار الصحاح، ٧٣/١.

٤- الراغب، مفردات القرآن، ١٠٩/١.

أما الشح لغةً فهو: البُخْل مَع حِرْصٍ. تقول: شَحَّ يَشُحُّ مِن باب قَتَل، وفي لُغة مِن بابَيْ ضَرَب وتَعِب، ورجل شَحيح وقوم شِحاح وأشِحَّة وأشحاء، وتَشاحَّ القوم: إذا شَحَّ بعضهم على بعض(١).

والشحِّ اصطلاحًا: الشحُّ: بخل مع حرص، وذلك فيما كان عادة(٢)

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧﴾[النساء:٣٧]

قال الواحديُّ في تفسيره الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ ﴾ أي: اليهود بخلوا بأموالهم أن ينفقوها في طاعة الله تعالى ﴿ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ ﴾ أمروا الأنصار ألا ينفقوا أموالهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: إنَّا نخشى عليكم الفقر ﴿ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ ﴾ أَيْ: ما في التَّوراة من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونعته.

وفي هذه الآية إظهارُ في موضع الإضمار وهو قوله: ﴿أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ ولم يقل: أعتدنا لهم، والإظهار في موضع الإضمار له أغراض بلاغية، منها:

إرادة العموم، فإن قوله: ﴿أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ يشمل هؤلاء وغيرهم .

*ومنها: الحكم على هؤلاء بما يقتضيه هذا الوصف- وصف الكفر- فيكون هؤلاء الذين ذكرهم الله هم الكافرون .

* ومنها: إفادة عِلّية الحكم المذكور لهؤلاء؛ لأن الوصف الذي علق عليه الحكم يكون علّة لذلك الحكم، ولهذا من القواعد المقررة أن الحكم إذا علّق بوصف فإنه يقوى بقوة ذلك الوصف ويضعف بضعف ذلك الوصف.

أما عن لفظة [شح] فقد وردت ثلاث مرات في القرآن الكريم.

١- الراغب، مفردات القرآن، ١/١١٠.

٢- الراغب الأصفهاني، مفردات القرآن،ص٤٤٦.

قال تعالى: (وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) (النساء: ١٢٨).

روي أن الشعبي كان يقول: ما أفلح بخيل قط ثم يقرأ قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ) (الحشر: ٩) لما لهذه الصفة من بغض صاحبها عند الله عز وجل.[١].

قال تعالى: (وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (آل عمران: ١٨٠).

الترهيب من أهوال الساعة

يوم القيامة اليوم الذي يشيب فيه الولدان، حين يخرج الناس من قبورهم للحساب، وتتكلَّم الجوارح فاضحة أعمال صاحبها، وقد صورت الآيات القرآنية هذا المشهد في أوضح صورة وأبرع تصوير في أكثر من آية من آيات الذكر الحكيم.

قال تعالى﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ) (الحج: ١-٢)

في قوله: إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ تعليلٌ للأمْرِ بالتَّقوى، كما يُفِيدُه حَرفُ التَّوكيدِ (إنَّ) الواقِعُ في مَقامِ خِطابٍ لا تَردُّدَ للسَّامِعِ فيه، والتَّعليلُ يَقْتضي أنَّ لِزَلزلةِ السَّاعةِ أثرًا في الأمْرِ بالتَّقوى؛ وهو أنَّه وقْتٌ لحُصولِ

١-د. عبد الكريم زيدان ، أصول الدعوة ، ص ٣٦١.

الجزاءِ على التَّقوى وعلى العصيانِ، وذلك على وَجْهِ الإجمالِ المُفصَّلِ بما بعْدَه في ولَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ(١).

-والإتيانُ بلفْظِ شَيْءٌ؛ للتَّهويلِ بتوغُّلِه في التَّنكيرِ، وللإيذانِ بأنَّ العُقولَ قاصِرةٌ عنْ إدراكِ كُنْهِها، والعِبارةَ ضَيِّقةٌ لا تُحِيطُ بها إلَّا على وَجْهِ الإبهامِ(٢)..

-قولُه تعالى: يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ تَمثيلٌ لبَيانِ شِدَّةِ الأمرِ وتَفاقُمِه.

-قولُه: يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ ... بَيانٌ لجُملةِ: إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ؛ لأنَّ ما ذُكِرَ يُبيِّنُ معنَى كونِها شيئًا عظيمًا، وهو أنَّه عظيمٌ في الشَّرِّ والرُّعب.

- وتَقديمُ يَوْمَ على عامِلِه تَرَوْنَهَا؛ للاهتمامِ بالتَّوقيتِ بذلك اليومِ، وتوقُّعِ رُؤيتِه لكلِّ مُخاطَبٍ مِنَ النَّاسِ، وأصْلُ نظْمِ الجُملةِ: تَذهَلُ كلُّ مُرضعةٍ عمَّا أرضعَتْ يومَ تَرونَ زَلزلةَ السَّاعةِ(٣).

الترهيب من نار جهنم

أما عن الترهيب من نار جهنم فقد ورد بصيغ مختلفة في القرآن الكريم وبألفاظ متعددة منها: النار، جهنم السعير، سقر، الحريق وغيرها من هذه الألفاظ .

والأمثلة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ) (التحريم: ٦).

١- الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل؛ /١٤١، وينظر: تفسير البيضاوي،٦٤/٤.

٢-ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٨٧/١

٣- أبو السعود العمادي، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٩١/٦).

قال الطبري: "فالله يُرشدنا إلى حفظ أنفسنا وأهلينا ووقايتها من النار بترك المعاصي وفعل الطاعات، ثم يُحذِّرنا من وقودها التي يوقد عليها المُعرِضون عن شرع الله والحجارة، ثم يصف زبانية جهنم بأوصاف مخيفة: غلاظ شداد لا يخالفون أمر الله فيما يأمرهم به ربهم"(١).

وهذا نِداءٌ ثانٍ مُوجَّهٌ إلى المُؤمِنينَ بعْدَ اسْتِيفاءِ المقصودِ مِن النِّداءِ الأوَّلِ؛ نِداءِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بقولِه: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} [التحريم: ١] ، ووُجِّهَ الخِطابُ إلى المُؤمِنينَ ليأتَسوا بالنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في مَوعظةِ أهليهم(٢).

-وعُبِّرَ عن الموعظةِ والتَّحذيرِ بالوِقايةِ مِنَ النارِ؛ لأنَّ الموعظةَ سببٌ في تَجنُّبِ ما يُفْضِي إلى عَذابِ النَّارِ، أو على تَشبيهِ المَوعظةِ بالوِقايةِ مِنَ النارِ على وجْهِ المُبالَغةِ في الموعظةِ(٣).

- وعُطِفَ وَأَهْلِيكُمْ على أَنْفُسَكُمْ؛ لأنَّ رَبَّ المنزلِ راعٍ، وهو مَسؤولٌ عن أهلِه، ودخلَ الأولادُ في وَأَهْلِيكُمْ، وقيلَ: دخَلوا في أَنْفُسَكُمْ؛ لأنَّ الولَدَ بعضٌ مِن أبيهِ، فيُعلِّمُه الحَلالَ والحرامَ، ويُجنِّبُه المعاصي(٤).

-وتَنكيرُ نَارًا للتَّعظيم. وأُجْرِيَ عليها وصْفٌ بجُملةِ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ زيادةً في التَّحذير؛ لئلَّا يَكونوا مِن وَقودِ النَّارِ، وتَذكيرًا بحالِ المُشرِكينَ، وتَفظيعًا للنَّارِ؛ إذْ يكونُ الحجَرُ عِوَضًا لها عن الحطَبِ(٥).

قال تعالى: (وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ) إبراهيم (١٥-١٦)

وقال تعالى﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ (القمر: ٤٨).

١-الإمام الطبري، تفسير الطبري، مؤسسة الرسالة، ٣٣٠/٧.

٢- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٦٥/٢٨.

٣- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٦٥/٢٨.

٤- محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، البحر المحيط، ٢١٢/١٠.

٥- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٦٥/٢٨.

السَّحْبُ: الجَرُّ، وهو في النَّارِ أشدُّ مِن مُلازَمةِ المكانِ؛ لأنَّه بـه يَتجـدَّدُ مُماسَّةُ نارٍ أُخرى؛ فهو أشدُّ تَعذيبًا. وجُعِل السَّحبُ على الوُجوهِ؛ إهانـةً لهـم ([1]).

لذلك على الدعاة أن يحذروا من بطش الله وعذابه،قال تعالى: (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ) (البروج: ١٢).

وفي الآية استِئنافٌ خُوطِبَ به النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؛ إيـذانًا بـأنَّ لكُفَّارِ قَومِه نَصيبًا مَوفورًا مِن مَضمونِه، كما يُنْبئُ عنـه التَّعـرُّضُ لعُنـوانِ الرُّبوبيَّةِ، معَ الإضافةِ إلى ضَميرِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ؛ فهو كَلامٌ مُسـتَأنَفٌ مَسوقٌ لتَسلِيةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عمَّا يُكابِدُه مِن كُفَّارِ قَومِـه. أو هـو عِلَّةٌ لمَضمونِ قولِه: إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُـوا فَلَهُـمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ [البروج: ١٠] ، أي: لأنَّ بَطْـشَ اللهِ شَـديدٌ على الَّذين فَتَنوا الَّذين آمَنوا به؛ فمَوقِعُ (إنَّ) في التَّعليـلِ يُغْنـي عـن فـاءِ التَّسبُّبِ([2]).

-وأُكِّدَ الكَلامُ بـ (إنَّ) واللَّامِ.

- والبَطْشُ: الأَخْذُ بالعُنفِ، ووُصِفَ بالشِّدَّةِ؛ للدَّلالـةِ علـى تَضـاعُفِه وتَفاقُمِه. ووُجِّهَ الخِطابُ للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؛ لأنَّ بَطْشَ اللهِ بالَّذين فَتَنوا المُؤمِنينَ فيه نَصرٌ للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وتَثبيتٌ له([3]).

وهذا نوع من أنواع الترهيب الذي يقوم به الداعية ليرشد النـاس إلـى طريق الله المستقيم.

١- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ٢١٥/٢٧.

٢- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ٢١٥/٢٧.

٣- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٤٨/٣٠.وتفسير الزمخشري٧٣٢/٤.

المبحث الثالث

الموعظة السمية في آيات الترغيب والترهيب

لا يخفى على مبتدئٍ -ناهيك عن المتبحر في علوم البلاغة- أن أسلوب التقابل من الأساليب البلاغية المسلَّمِ بها، وإذا كان نتحدث عن الترغيب فالترهيب يقابله، وهذا الأسلوب-أسلوب المقابلة- من الأساليب التي وردت بكثرة في القرآن الكريم، وورد الترغيب والترهيب ليكونا ذا مغذى بلاغي .

ولا غرو في ذلك، فالقرآن الكريم كتاب دعوة في الأساس، وأسلوب المقابلة من أنجح الأساليب في الدعوة؛ لاعتماده على عنصري الثواب والعقاب، اللذين علم الله من طبيعة البشر أنهما يشكلان حافزاً قويًّا؛ للإقبال على كل ما هو نافع، والانكفاف عن كل ما هو ضار.

لم تُذكر أساليب الترغيب والترهيب في القرآن دون هدف أو معنى أو مغزى، وإنما لذكر أساليب الترغيب والترهيب من حيث الجملة ما يتضمن الترغيب والحض والحث على التفاني في الأعمال التي ترضي الله ورسوله، وبعدما يعرض الآيات الإغراء الترغيبي، يتبعها لمن لم يجد معه هذا النمط الترغيبي بنمط عكسه تماما وهو أسلوب الترهيب الذي يحذر من الوقع في مثل هذه الأمور التي تغضب الله ورسوله، وقد يحدث في بعض الآيات عكس ذلك، فيرهب أولاً ليهيئ النفس لقبول الترغيب والعمل به، فيعقب الترهيب بالترغيب.

وإذا دققنا النظر في أساليب الترغيب والترهيب في القرآن الكريم نجدها لا تخرج عن أنماط ثلاث، وهو ما نتناوله في المطالب الثلاث:

المطلب الأول

أن يجمع الله تعالى بينهما –الترغيب والترهيب– معا في نفس الآية

ورد هذا الأسلوب في العديد من الآيات منها:

قال تعالى:﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام:١٦٥] فيه: تجريدُ الخطابِ لرَسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم، مع إضافَةِ اسمِ الرَّبِّ إلى ضميرِه صلَّى الله عليه وسلَّم؛ لإبرازِ مزيدِ اللُّطْفِ به صلَّى الله عليه وسلَّم(١).

–قَالَ سبحانه هنا: إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ بلامٍ واحدةٍ في كلمةِ لَغَفُورٌ، وقال في سورةِ الأَعرافِ: إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ العِقَابِ وإنَّه لَغَفُورٌ رحيمٌ باللَّامِ في الجملتينِ؛ لأنَّ ما هنا وَقَعَ بعد قوله: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا، وقوله: وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ؛ فأتى باللَّامِ المؤكِّدة في الجملةِ الثَّانية فقط؛ ترجيحًا للغُفرانِ على سُرعةِ العِقابِ. وما هناك وَقَعَ بعد قَوْلِه: وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ، وقوله: فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ فأتى باللَّامِ في الجُملَةِ الأولى؛ لمناسَبَةِ ما قبلها، وفي الثَّانيةِ تَبَعًا للَّامِ في الأولى(٢).

وقيل: الفَرْقُ بينَ هذه الآيَةِ وآيَةِ الأعرافِ– حيثُ أتى هناك باللَّامِ، فقال لَسَرِيعُ الْعِقَابِ دون ما هنا– أنَّ اللَّامَ تُفيدُ التَّوكيدَ، فأفادَتْ هناك تأكيدَ سُرعةِ العِقابِ؛ لأنَّ العِقابَ المذكورَ هناك عقابٌ عاجِلٌ، وهو عقابُ بني إسرائيلَ بالذُّلِّ والنِّقْمةِ، وأداءِ الجِزْيَةِ بعد المَسْخِ؛ لأنَّه في سِياقِ قَوْلِه: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ

١– أبو السعود العمادي، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٢٠٨/٣).

٢– الأنصاري، فتح الرحمن، ١٨٣/١–١٨٤.

لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ [الأعراف: ١٦٧] ، فتأكيدُ السُّرعةِ أفادَ بيانَ التَّعجيلِ، وهو مناسِبٌ، بخلافِ العِقابِ المذكورِ هنا؛ فإنَّه آجِلٌ بدليلِ قَوْلِه: ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ [الأنعام: ١٦٤] فاكتفى فيه بتأكيدِ (إنَّ)، ولَمَّا اختُصَّتْ آيةُ الأعرافِ بزيادَةِ العذابِ عاجلًا اختُصَّتْ بزيادَةِ التَّأكيدِ لَفْظًا بـ «اللَّامِ»([1]).

وقال تعالى: (غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ) (غافر: ٣).

في هذه الآية العديد من الصور البلاغية الرائعة:

-أُجريَ على اسمِ الله تعالى مِن صِفاتِه ما فيه تَعريضٌ بدَعْوتِهم إلى الإقلاعِ عمَّا هُم فيه، فكانتْ فاتحةُ السُّورةِ مِثلَ دِيباجةِ الخُطبةِ؛ مُشيرةً إلى الغرَضِ مِن تَنزيلِ هذه السُّورةِ، وفي إتْباعِ الوصفَينِ العَظيمَينِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ بأوصافِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ تَرشيحٌ لذلك التَّعريضِ، كأنَّه يقولُ: إنْ كنتُم أذنَبْتُم بالكُفرِ بالقرآنِ، فإنَّ تَدارُكَ ذَنْبِكم في مُكنَتِكم؛ لأنَّ اللهَ مُقَرَّرٌ اتِّصافُه بقَبولِ التَّوبةِ، وبغُفرانِ الذَّنْبِ، فكما غفَرَ لِمَن تابوا مِنَ الأُمَمِ فقَبِل إيمانَهم، يَغفِرُ لِمَن يَتوبُ منكم ([2]).

-والذَّنْبُ في قولِه: غَافِرِ الذَّنْبِ هنا مفردٌ محلَّى بـ «أل»، فيكونُ عامًّا، أي: أنَّ الله جلَّ وعلا يغفرُ الذُّنوبَ جميعًا.

- وتَقديمُ غَافِرِ الذَّنْبِ على (قَابِلِ التَّوْبِ) مع أنَّه مُرتَّبٌ عليه في الحُصولِ؛ للاهتِمامِ بتَعجيلِ الإعلامِ به لِمَنِ استعَدَّ لتَدارُكِ أمْرِه؛ فوصْفُ غَافِرِ

١- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٦٥/٤

٢-يُنظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي (٥١/٥)، ((تفسير أبي السعود)) (٢٦٥/٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧٧/٢٤ - ٧٩).

الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ تَعريضٌ بالتَّرغيبِ، وصِفَتَا شَـدِيدِ الْعِقَـابِ ذِي الطَّـوْلِ تَعريضٌ بالتَّرهيبِ (١).

المطلب الثاني : أن يجمع سبحانه وتعالى بينهما-الترغيب والترهيب- في آيتين منفصلتين لكنهما متتابعين:

قال تعالى:(نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ) (الحجر: ٤٩)، فهذه الآيـة فيها ترغيب، ثم يأتي الترهيب في قوله تعالى: (وَنَبِّئْهُمْ عَـن ضَـيْفِ إِبْـرَٰهِيمَ) (الحجر:٥٠).

-في قوله تعالى: {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} ترجيح جهة الخير من جهة أمره تعالى رسوله بهذا التَّبليغ، فكأنَّه إشهاد على نفسه بالتزام المغفرة والرحمة، وكونه أضاف العباد إليه فهو تشريف لهم، وتأكيد اسم (أنَّ) بقوله: (أنا)، وإدخال (ال) على هاتين الصِّفتين، وكونُهما جاءَتا بصـيغة المبالغـة، والبداءة بالصِّفة السَّارَّة أوَّلًا وهي الغفران، وإتْباعها بالصِّفة الَّتي نَشـأ عنهـا الغفران وهي الرَّحمة، ولَمَّا ذكر العذاب لم يَقل: (أنِّي أنـا المعَـذِّب)، ومـا وصفَ نفسه بذلك، بل قال: {وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ}، وفي توصيف ذاته بالغفران والرَّحمة دون التّعذيب ترجيح الوعد وتأكيده.

- وضمير (هو) في قولِه: وأَنَّ عذابي هو العذَاب الْأَلِيم ضمير فصـل يُفيد تأكيد الخبرِ(٢)

١-الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، (٧٩/٢٤، ٨٠). قال ابن عاشور: (والطَّـوْلُ يُطلـقُ على سَعةِ الفضلِ وسَعةِ المالِ، ويُطلقُ على مُطلقِ القُدرةِ، وظاهِرُه الإطلاقُ، ووُقوعُـه مـع شديدِ العِقابِ ومُزاوجَتُها بوصْفَيْ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ لِيُشيرَ إلى التَّخويفِ بعذابِ الآخرةِ مِن وصْفِ شديدِ العقابِ، وبعذابِ الدُّنيا مِن وصفِ ذي الطَّـوْلِ، كقولـه: أَوْ نُرِيَنَّـكَ الَّـذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ [الزخرف: ٤٢] ، وقوله: قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَـزِّلَ آَيَـةً [الأنعام: ٣٧]). ((تفسير ابن عاشور)) (٨٠/٢٤، ٨١) بتصرفٍ يسيرٍ. وتقدَّم في الفوائـدِ أنَّ قولَه تعالى: ذِي الطَّوْلِ يدُلُّ على حُصولِ الرَّحمةِ العَظيمةِ، ويُطمِعُ فيها.

٢-الرازي، مختار الصحاح،١٧٩/١٩..

قولُه: غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ اختلفَتْ هذه الصِّفاتُ تعريفًا وتنكيرًا، والمَوصوفُ مَعرفةٌ يَقتَضي أنْ يَكونَ مِثْلُه مَعارِفَ؛ وذلك أنَّ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ مَعرِفتانِ؛ لأنَّه لم يُرَدْ بهما حُدوثُ الفِعلَينِ، وأنَّه يَغفِرُ الذَّنْبَ ويَقبَلُ التَّوبَ الآنَ أو غدًا حتَّى يَكونَا في تَقديرِ الانفِصالِ، فتَكونَ إضافَتُهما غيْرَ حقيقيَّةٍ، وإنَّما أُريدَ ثُبوتُ ذلك ودوامُه. وتَنكيرُ شَدِيدُ الْعِقَابِ؛ لأنَّه في تقديرِ: شديدٌ عِقابُه، فيَجوزُ أنْ يُقالَ: قد تُعُمِّدَ تَنكيرُه وإبهامُه؛ للدَّلالةِ على فَرْطِ الشِّدَّةِ، وعلى ما لا شَيءَ أدهَى منه وأمَرُّ؛ لِزيادةِ الإنذارِ.

– قولهُ: وَقَابِلِ التَّوْبِ جُرِّد المصدرُ؛ لِيُفهِمَ أنَّ أدنَى ما يُطلَقُ عليه الاسمُ كافٍ (١).

وقوله تعالى:﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ (البروج:١٢)، فهذه الآية فيها ترهيب، ثم يأتي الترغيب بعدُ في قوله تعالى﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ (البروج: ١٤).

–قولُه تعالَى: إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ استِئنافٌ خُوطِبَ به النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؛ إيذانًا بأنَّ لكُفَّارِ قَومِه نَصيبًا مَوفورًا مِن مَضمونِه، كما يُنْبِئُ عنه التَّعرُّضُ لعُنوانِ الرُّبوبيَّةِ، معَ الإضافةِ إلى ضَميرِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ؛ فهو كَلامٌ مُستَأنَفٌ مَسوقٌ لتَسلِيةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عمَّا يُكابِدُه مِن كُفَّارِ قَومِه.

– قولُه تعالَى: إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ هذه الجُملةُ تَصلُحُ لأنْ تَكونَ استِئنافًا ابتِدائيًّا،لأنَّ الَّذي يُبْدئُ ويُعيدُ قادِرٌ على إيقاعِ البَطْشِ الشَّديدِ في الدُّنيا، وهو: الإبْداءُ، وفي الآخِرةِ، وهو: إعادةُ البَطْشِ، وتَصلُحُ لأنْ تَكونَ إدْماجًا

١– الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل؛ (١٤٨/٤، ١٤٩)

المطلب الثالث

أن يذكر أسلوب الترغيب والترهيب في مجموعة آيات مشتملة عليهما، والمثال على ذلك (وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ) (الزمر: ٧١ – ٧٢).

–قولُه: وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا تَنفيذٌ للقَضاءِ الذي جاء في قولِه: وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ [الزمر: ٦٩] ، وقولِه: وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ [الزمر: ٧٠] ؛ فإنَّ عاقِبةَ ذلك ونَتيجتَه إيداعُ المُجْرمينَ في العِقابِ، وإيداعُ الصَّالحينَ في دارِ الثَّوابِ. وابتُدِئَ في الخبَرِ بذِكرِ مُستحقِّي العِقابِ؛ لأنَّه الأهمُّ في هذا المقامِ؛ إذْ هو مَقامُ إعادةِ الموعظةِ والتَّرهيبِ للذين لم يَتَّعِظوا بما تَكرَّرَ في القُرآنِ مِن العِظاتِ مِثلِ هذه، فأمَّا أهلُ الثَّوابِ فقدْ حصلَ المقصودُ منهم، فما يُذكَرُ عنهم فإنَّما هو تَكريرُ بِشارةٍ وثَناءٍ([1]).

–قولُه: فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا جَوابُ إِذَا، وأغْنى ذِكرُ إِذَا عن الإتيانِ بـ (لمَّا) التَّوقيتيَّةِ، والتَّقديرُ: فلمَّا جاؤوها فُتِحَت أبوابُها، أي: وكانتْ مُغلقةً؛ لِتُفتَحَ في وُجوهِهم حِينَ مَجيئِهم فَجْأةً تَهويلًا ورُعْبًا.

–قولُه: فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا قُرِئَ فُتِّحَتْ بتَشديدِ التَّاءِ ؛ للمُبالَغةِ في الفتْحِ([2]).

١– أبو السعود العمادي، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٢٦٣/٧)،وينظر،(تفسير ابن عاشور)) (٦٨/٢٤، ٦٩).

٢– الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٦٩/٢٤).

– والاستفهامُ الموجَّهُ مِن خَزَنةِ جَهنَّمَ إلى أهلِ النَّارِ في قولِه: أَلَمْ يَـأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا استفهامٌ تَقريريٌّ مُستعمَلٌ في التَّوبيخِ والزَّجْرِ والتَّقريعِ، كما دلَّ عليه قولُهم بعْدَه: ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ، ومِنْكُمْ صِفةٌ لِـ رُسُلٌ، والمقصودُ مِن الوَصْفِ التَّورُّكُ عليهم؛ لأنَّهم كانوا يَقولون: أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ (١) [القمر: ٢٤].

ثم وصف القرآن لحال أهل الإيمان في قوله تعالى:﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ* وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ) (الزمر: ٧٣ - ٧٤).

قولُه: وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا في قولِه: وَسِيقَ –بالنِّسبةِ لأهلِ النَّارِ وأهلِ الجنَّةِ؛ إذ عُبِّرَ عن الذَّهابِ بالفَريقينِ جَميعًا بلَفظٍ واحدٍ–: نَوعُ بَلاغةٍ دَقيقُ المسلَكِ؛ وهو أنْ يأتيَ المتكلِّمُ بكلمةٍ واحدةٍ، فتكونُ تارةً دالَّةً على الهَوانِ والعِقابِ، ثمَّ يأْتي بها ثانيةً، فتكونُ دالَّةً على الإكرامِ وحُسْنِ الثَّوابِ، والمرادُ بسَوقِ أهلِ النَّارِ طَرْدُهم إليها بالهَوانِ والعُنْفِ كما يُفعَلُ بالأَسارَى والخارجينَ على السُّلطانِ إذا سِيقوا إلى حَبْسٍ أو قتْلٍ. والمرادُ بسَوقِ أهْلِ الجنَّةِ مَساقُ إعزازٍ وتَشريفٍ؛ للإسراعِ بهم إلى دارِ الكَرامةِ، وقيل: سَوقُ مَراكِبِهم؛ لأنَّه لا يُذهَبُ بهم إلَّا راكبينَ، وحَثُّها إسراعًا إلى دارِ الكرامةِ

١– الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل؛ ١٤٦/٤)، وينظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤٩/٥)، ((تفسير أبي حيان)) (٢٢٤/٩)، ((تفسير أبي السعود)) (٢٦٣/٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧٠/٢٤).

والرِّضوانِ، كما يُفعَلُ بمَن يُشرَّفُ ويُكرَّمُ مِن الوافدينَ على بَعضِ الملوكِ؛ فشتَّانَ ما بيْنَ السَّوقين!([1])

-وأيضًا اختيارُ لَفظِ (السَّوق)، وبِناءُ الفِعلِ للمَفعولِ؛ للدَّلالةِ على عَظَمةِ الكِبْرياءِ والجَلالِ، ولِتُوافِقَ ما خُتِم به الكلامُ بما بُدِئَ به؛ ألَا تَرَى كيف قِيل: وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ؟ فكما أنَّ ذلك المَجيءَ لا يدُلُّ على فَضْلِهم وكَرامتِهم، بلْ على الكِبْرياءِ والجَلالِ، وكذلك هذا السَّوقُ. ويُمكِنُ أنْ يُجْرى على المشاكَلةِ؛ فإنَّه لَمَّا نُسِبَ السَّوقُ إلى الكفَّارِ، وانضمَّ معه مَقامُ الجَبروتِ والكِبْرياءِ، قِيل: وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ ([2]).

-وفيه مُناسبةٌ حَسَنةٌ؛ حيثُ قال في أهلِ النَّارِ: حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا [الزمر: ٧١] ، وقال هنا في أهلِ الجنَّةِ: حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا بزيادة الواوِ؛ ووَجْهُ ذلك: أنَّ أهلَ النَّارِ بمُجرَّدِ وُصولِهم إليها فُتِحَت لهمْ أبوابُها مِن غيرِ إنظارٍ ولا إمهالٍ، وليَكونَ فتْحُها في وُجوهِهم وعلى وُصولِهم أعظَمَ لحَرِّها، وأشدَّ لعَذابِها، وأمَّا الجنَّةُ؛ فإنَّها الدَّارُ العاليةُ الغاليةُ، التي لا يُوصَلُ إليها، ولا يَنالُها كلُّ أحدٍ إلَّا مَن أتَى بالوَسائلِ الموصِلةِ إليها، ومع ذلك فيَحتاجون لدُخولِها لشَفاعةِ أكرَمِ الشُّفعاءِ على الله تعالَى؛ فلمْ تُفتَحْ لهمْ بمُجرَّدِ ما وَصَلوا إليها، بلْ يَسْتشفِعون إلى اللهِ بمُحمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حتَّى يَشفَعَ؛ فيُشفِّعُه اللهُ تعالَى. ([3])

١- الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل؛ (١٤٧/٤)، وينظر ((فتح الرحمن)) للأنصاري (٤٩٨/١)، ((تفسير أبي السعود)) (٢٦٤/٧)، ((إعراب القرآن)) لدرويش (٤٥١/٨). وقد انتقَدَ الطِّيبيُّ هذا القولَ الثانيَ. يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (٤٤٧/١٣).

٢- الطيبي، توح الغيب في الكشف عن قناع الريب وهو حاشية الطيبي على الكشاف، ط١، سنة النشر: ١٤٣٤هـ-٢٠١٤م (٤٤٨/١٣).

٣- ابن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان، ص: ٧٣١.

وقيل: إنَّها واوُ الحال، أي: جاؤوها وقدْ فُتِحَت أبوابُها قبْلَ مَجيئِهم، بخِلافِ أبوابِ النَّارِ؛ فإنَّها إنَّما فُتِحَت عندَ مَجيئِهم، والسِّرُّ في ذلك: أنْ يَتعجَّلوا الفرَحَ والسُّرورَ إذا رأَوا الأبوابَ مُفتَّحةً، وأهلُ النَّارِ يَأْتونها وأبوابُها مُغلَقةٌ؛ لِيَكونَ أشدَّ لِحَرِّها، أو أنَّ الوقوفَ على البابِ المغلَقِ نَوعُ ذُلٍّ وهَوانٍ؛ فصِينَ أَهْلُ الجنَّةِ عنه، أو أنَّ الكريمَ يُعجِّلُ المثوبةَ ويُؤخِّرُ العُقوبةَ، أو اعتُبِرَ في ذلك عادةُ دارِ الدُّنيا؛ لأنَّ عادةَ مَن في مَنازِلِها مِن الخدَمِ إذا بُشِّروا بقُدومِ أهْلِ المنازلِ؛ فتْحُ أبوابِها قبْلَ مَجيئِهم -استبشارًا وتطلُّعًا إليهم-، وعادةَ أهلِ الحُبوسِ إذا شُدِّدَ في أمْرِها؛ ألَّا تُفتَحَ أبوابُها إلَّا عندَ الدُّخولِ إليها أو الخروجِ(١). أو فُتِحتْ أبوابُها؛ إكرامًا لهم -قبْلَ وُصولِهم- إليها بنفْسِ الفتْحِ وبما يَخرُجُ إليهم مِن رائحتِها، ويرَوْنَ مِن زَهْرتِها وبَهْجتِها(٢). وقيل غيرُ ذلك في زِيادةِ الواوِ.

-قولُه: حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا إِذَا ظَرْفُ مُسْتقبَلٍ مُتضمِّنٌ معْنى الشَّرْطِ، وجُملةُ جَاءُوهَا في مَحلِّ جَرٍّ بإضافةِ الظَّرْفِ إليها، وجَوابُها هنا مَحذوفٌ -على قولٍ-؛ لأنَّه في صِفةِ أهْلِ الجنَّةِ؛ فدَلَّ بحَذْفِه على أنَّه شَيءٌ لا يُكتَنَهُ، ولا يُحِيطُ به الوصْفُ، كأنَّه قِيل: حصَلوا على النَّعيمِ المقيمِ الذي لا يَشوبُه التَّنغيصُ والتَّكديرُ، وإنَّما صار الحذْفُ في مِثْلِ هذا أبلَغَ مِن الذِّكرِ؛ للإيذانِ بأنَّ لهم حِينئذٍ مِن فُنونِ الكراماتِ ما لا يَحدِقُ به نِطاقُ العباراتِ، فتَذهَبُ النَّفْسُ فيه كلَّ مَذهَب، ولو ذُكِرَ الجوابُ لَقصُرَ عن الوجْهِ الذي تَضمَّنَه البَيانُ ، فحُذِف؛ تَفخيمًا لِشأنِه وتَعظيمًا لقَدْرِه؛ كعادتِهم في حذْفِ الأجوبةِ(٣).

١- أبو حيان، تفسير أبي حيان، ٢٢٥/٩، وينظر((فتح الرحمن)) للأنصاري(٤٩٨/١)،(تفسير ابن عاشور)) (٧١/٢٤، ٧٢).

٢- البقاعي: نظم الدر، ٥٦٨/١٦.

٣- ابن القيم، بدائع الفوائد، ٥٤/٣.

–وهذه الآياتُ السَّابقةُ مِن بابِ الجمْعِ معَ التَّقسيمِ؛ فإنَّ قولَه: وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ [الزمر: ٧٠] جمَعَ الأنفُسَ كلَّها في حُكمِ تَوفيةِ أُجورِ الأعْمالِ صالحِها وسَيِّئِها. وقولَه: وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا، وقولَه: وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا إلى آخِرِ الآياتِ؛ تَقسيمٌ لذلك الجمْعِ، وتَفصيلٌ لذلك المُجمَلِ، وقدْ أُوثِرَ فيهما الَّذِينَ كَفَرُوا والَّذِينَ اتَّقَوْا على الكافرينَ والمتَّقِين؛ لِيَدُلَّ على العُمومِ(١).

–قولُه: طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ عقَّبَ دُخولَها على الطِّيبِ بحَرفِ الفاءِ الَّذي يؤْذِنُ بأنَّه سَببٌ للدُّخولِ؛ أي: بسَبب طِيبِكم، قيلَ لكمُ: ادْخُلوها(٢).

٢ –قولُه تعالَى: وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِ

–قولُه: وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ. عطْفُ هذا الكلامِ يُؤذِنُ بأنَّ قولَهم ذلك غيْرُ جَوابٍ لِقَولِ الملائكةِ ، بلْ حَمِدوا اللهَ على ما منَحَهم مِن النَّعيمِ الذي وَعَدَهم به، وإنَّما وعَدَهم به بعُنوانِ الأعمالِ الصَّالحةِ، فلمَّا كانوا أصحابَ الأعمالِ الصَّالحةِ، جعَلوا وَعْدَ العامِلينَ للصَّالحاتِ وَعْدًا لهم؛ لِتَحقُّقِ المعلَّقِ عليه الوعدُ فيهم(٣).

– قولُه: فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ والأصلُ هو «فنِعْم أجْرُنا»، ولكنَّه قال: أَجْرُ الْعَامِلِينَ تَرْغيبًا في الأعمالِ، وحثًّا على عدَمِ الاتِّكالِ(٤).

وبناء على ذلك يستطيع الواعظ أن يوظف أسلوب الترغيب والترهيب في موعظته بما يخدم موضوعه.

١– الطيبي، توح الغيب في الكشف عن قناع الريب وهو حاشية الطيبي على الكشاف (٤٤٧/١٣).

٢– ابن القيم، الوابل الصيب من الكلم الطيب، ص:٢٠.

٣– الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ٧٢/٢٤.

٤– البقاعي، نظم الدرر، ٥٧٠/١٦.

المبحث الرابع

الخصائص اللغوية والبلاغية للموعظة في القرآن الكريم.

تحلّت الموعظة في القرآن الكريم بالخصائص اللغوية والبلاغية؛ لكونها أداة جذب، أداة وعد ووعيد، فقد وقف المفسرون والبلاغيون على لغة القرآن، محاولين إدراك مطارح الجمال في النص القرآني خاصة في مجال الوعظ والارشاد، فالقرآن الكريم نزل بلغة العرب، قال تعالى﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾[يوسف:٢] وفيما يلي من صفحاتٍ سأتعرض لذكر ما تراءى لي من الخصائص البلاغية للموعظة السمية في القران الكريم على النحو التالي:

المطلب الأول: جزالة اللفظ.

المطلب الثاني: براعة النظم.

المطلب الأول : جزالة اللفظ

للموعظة في القرآن الكريم خصائص بلاغية متنوعة، ما بين تنوع في الألفاظ وتنوع في البيان، وفصاحة في المفردات، وتناغم وتوافق لما وضعت له الألفاظ من معان مع دقة متناهية في اختيارها، وبناء عليه سنتعرض في هذا المطلب لك ما له علاقة بجزالة الألفاظ من خلال النقاط التالية:

أولاً: التنوع اللفظي والتنوع البياني:

من أبهى وأسمى آيات الوعظ في القرآن الكريم التنوع اللفظي، فلا يمكننا تصور مدى تفرد أسلوب الخطاب الوعظي في القرآن إلا بالمعرفة الدقيقة لعلم البلاغة: " فالإنسان إذا أغفل علم البلاغة وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خص الله به كتابه من حسن التأليف وبراعة التركيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع؛ والاختصار اللطيف إلى غير ذلك من محاسنه؛ التي عجز الخلق عنها؛ لأن البلاغة تُعتبر من أهم

وسائل إدراك الإعجاز القرآني، وذلك بأن يتمكن البليغ فيها ويتقنها ويفهم أساليبها وفنونها"[١].

والجدير بالذكر والملاحظة أن المتتبع لأسلوب القرآن يلحظ فيه ملحظين هما: التنويع اللفظي، والتنويع البياني[٢].

أ. **فأما التنويع اللفظي:** فهو ما كان في الفواصل، وهي أواخر الآي، وقد يكون باتفاق السورة في كل الفواصل المقفاة كسورة القمر، وسورة الشمس، والأعلى، والقدر، والإخلاص، والناس، وقد يوجد في بعض الفواصل لزوم ما لا يلزم، وهو التزام أن يكون ما قبل القافية حرفا معينا وهو اتحاد ما قبل الحرف الذي تتواطأ عليه الفواصل نحو: (فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ *وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ) (الواقعة: ٢٨ – ٢٩)، ونحو(إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ*وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ) الانشقاق: (١-٢)، ونحو:(ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ) (العلق: ١ – ٢).

وقد يكون التنوُّع باتفاق السورة في أكثر الفواصل كما في سورة الضحى، وبورود فواصلها على أنواعها من التقفية كما في سورة الشرح، والعاديات، ومن تنويع الأسلوب ختم السورة ذات الفواصل المقفاة بفاصلة على غير قافيتها كما في سورة الرحمن﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ) (الرحمن: ٧٨)، وفي سورة الضحى المتفقة في أكثر الفواصل:﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ) (الضحى: ١١)، وذلك لتنشيط السامع وإيقاظ فكره.

ومن ذلك حفظ روي الفاصلة التي تبنى عليها السورة، وإن تخللتها فواصل مختلفة، وهي نوع غريب من التنسيق يحكيه الفن المسمى بالتوشيح

١- أبو الهلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، المحقق: علي محمد البجاوي- محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: عيسى البابي الحلبي، سنة النشر: ١٣٧١ه- ١٩٥٢م، ص: ١٦٧.

٢-محمد السائح، إعجاز القرآن، دعوة الحق، مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر أسست، عدد٧، أبريل١٩٥٩، ص ٢٠.

ويوجد في سورة الرحمن وسورة (ص)، في سورة الرحمن في هذه الآية: (وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ) (الرحمن: ١٥)، وسورة ص في هذه الآية: (إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ) (ص: ٥٤).

ب- **التنويع البياني:** وهو أن القرآن الكريم ينوع التعبير ويصوغ المعاني في قوالب مختلفة للإيذان بالتمكن في عقر البلاغة والجري على ما عرف عن العرب من تصريف المعنى الواحد على أساليب متعددة، وتقليبه على وجوه متنوعة من التعبير من ذلك تنويعه التعبير عن سفينة نوح مرة بقوله:(وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ)القمر:١٣، ومرة في سورة الحاقة بقوله:﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ) (الحاقة: ١١)، فقد نوع التعبير مراعاة للفواصل.

وهنا لابد من بيان بأنه الناظر إلى لغة الموعظة في الخطاب القرآني يجدها تجمع بين بلاغتي الإمتاع والإقناع؛ رغم تباين أغراض الموعظة القرآنية؛ من ووعد ووعيد؛ وحِكم وغيرها.

هذا إذا إن نظرنا إلى الخطاب الوعظي في القرآن بشكل عام، أما إن فككنا بنية الخطاب الوعظي، فإننا نجده يمتاز بخصائص بلاغية تتجلى في:

الفصاحة اللفظية: لقد جاء القرآن بأسلوب متميز، لا هو بالنثر ولا يجري على طرائقه وأنواعه، ولا هو بالشعر ولا يركب أوزانه وخياله، وإنما هو أثر من الآثار الإلهية، فهو مبني على وفرة الإفادة وتعدد الدلالة، وجمله لها دلالتها الوضعية التركيبية التي يشاركها فيها الكلام العربي كله[١].

ونتيجة لذلك فالمتأمل في الأسلوب الوعظي القرآني يجد الإبداع ظاهرا في احتوائه أفصح الألفاظ الرائعة المعبرة، التي يستحسنها السمع، فأي مفردة منه تناولتها بالفحص وجدت حروفها متآلفة، ولذلك تجد في مفرداته البليغ

١-ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر ١٩٨٤، ١/١١٠.

الرصين، الجزل في موطنه، والفصيح القريب اللين في موطنه أيضـــا، ولـــو استعرضته كله مرارًا وتكرارًا ما رأيت فيه البتة لفظا حوشـــيًّا موحشًـــا، ولا هجينًا مذمومًا، أو ثقيلاً كريهًا مما تنفر منه الطباع المهذبة، أو تمجُّه الأسماع المُرهَفة.

ومن هذا المنطلق فقد شهد جل علماء العربية أن ألفاظ القرآن هي لـــب كلام العرب وزُبدته، وأن ما عداها وعدا الألفاظ المشتقات منهـــا كالقشـــور والنوى بالنسبة إلى أطايب الثمر، وكالحثالة والتـــبن بالنســـبة إلـــى لبـــوب الحنطة[١].

إن خطاب الوعظ في القرآن ينبو عن الغريب الحوشي، ألفاظه ســـهلة مُيسرة لمن أراد أن يذَّكر، وبدا ذلك جليًّا، في قوله تعالى منوِّهًا بفضل بلاغة القول: (فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا) النساء: ٦٣.

موافقة الألفاظ لما وضعت له من معان:

أسلوب الخطاب الوعظي القرآني متكامل من جميع نواحيه، فهو قمة في بنائه؛ تجد بين الحرفين ملاءمةً وحبكًا، وبين مفرداته تناسبًا وائتلافًا، وبـــين الجمل ترابطًا وتكاملاً، " فالكلام يقوم بأشياء ثلاثة لفظ حامل ومعنى به قـــائم وربط لهما ناظم، ثم إن القرآن هو الذي جمع نهايات الفضل في هذه العناصر الثلاثة، فإذا تأملته وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة؛ حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظما أحسن تأليفا؛ وأشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه، وأما المعاني فلا يخفى على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها والترقـــي إلـــى أعلـــى درجات الفضل في نعوتها وصفاتها"[٢]

١- الأصفهاني، مقدمة مفردات القرآن.

٢-الإعجاز البلاغي، أبو موسى، ص: ٥٣.

وهنا لابد من بيان أن هذه الخصيصة يتفرد بها أسلوب الوعظ القرآني، فربما تخير الألفاظ للمعاني المتداولة يسهل، لكن الأمر شاق مع المعنى البارع، وهذا ما نجده مكينا في خطاب القرآن؛ الذي أتى بألفاظ بديعة لمعان جديدة في العقيدة والشريعة، ولذلك وافق بذلك المعنى اللفظ في البراعة، عكس بلغاء البشر، فكثيرا ما يتعثرون ويخفقون في اختيار الألفاظ المثلى للمعاني المألوفة.

دقة الاختيار:

كل لفظة من ألفاظ الخطاب الوعظي القرآني تُختار بشكل دقيق؛ لتؤدي المعنى بطريقة بليغة، وأمثلة ذلك في القرآن كثيرة.

يقول الجاحظ: "وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها، وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الكريم (الجوع) إلا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة، وكذلك ذكر (المطر)؛ لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث.

وتجدر الإشارة إلى أن الذى يجرى على أفواه العامة غير ذلك، لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر، وأولى بالاستعمال، والعامة ربما استخفت أقل اللغتين وأضعفهما، وتستعمل ما هو أقل في أصل اللغة استعمالا وتدع ما هو أظهر وأكثر، ولذلك صرنا نجد البيت من الشعر قد سار ولم يسر أجود منه وكذلك المثل السائر"[١].

فالجاحظ يشير إلى الدقة الشديدة في اختيار ألفاظ الخطاب القرآني؛ لأن المعنى يتغير ويحسن بلفظ، ويصبح رديئا بآخر، ورب لفظ يحمل من الدلالة ما لا يملكه مرادفه، ويتأكد هذا بتأملنا أسلوب الوعظ القرآني الذي لو أردت أن تستبدل فيه كلمة مكان أخرى لأرقك الأمر، وأحسست بحمل لا طاقة لك به.

١- الجاحظ. البيان والتبين، ١/٤٠.

المطلب الثاني : براعة النظم

أولاً: جودة السبك:

برع الخطاب القرآني أسلوبيا اتصالا وانفصالا، فالتركيب جاء مترابطًا شديد الإحكام، والعبارات سيقت بدقة مختارة حسب المقام، غيب وعقيدة، قصص وأخبار، تشريع، ثم وعظ أخلاقي، حيث جاء هذا بأسلوب خَطابي جمع بين صيغة العموم وصيغ الخصوص ليخاطب القرآن الجميع بعبارة (يا أيها الناس)، ثم يفرد كل واحد حسب المقام والمقصد المراد إبلاغه.

ولذلك يخاطب المسلم والكافر، والمؤمن والمنافق، ثم ليخص بالخطاب أحيانا المرسلين المكلفين بإيصال معاني الوحي، حيث صاغ القرآن خطابه بأسلوب وازن بين العقل والعاطفة؛ ليقنع ويمتع، وجاء هذا كله في قالب اصطلح عليه علماء البلاغة بالنظم.

ولعل أهم أسباب الإعجاز الخَطابي في القرآن إحاطة المخاطِب: (الله) – تقدس – بما يؤثر في النفوس المخاطَبة، وهذا لا يتأتى لأحد مهما بلغ درجة الكمال، وعليه: فالخطاب القرآني، أقنع المخاطَب أحيانا بأسلوب عاطفي وجداني، وأخرى بأسلوب علمي عقلي حسب المقام؛ ليجمع بين الترغيب والترهيب.

والجدير بالذكر والملاحظة أنه تم عرض كل الآراء بمنهجية شديدة الحياد والصدق، وبأمانة ودقة، وصاغ كل هذا في قالب موجز تام المعنى، ليخرج بالخطاب أحيانا بطريق مباشر كمقامات التشريع مثلا، ويوجه الخطاب أخرى عن طريق الحوار والمناظرة، والتي تتغيا بالدرجة الأولى إبلاغ رسائل القرآن العقدية بشكل مشوق يثير انتباه المخاطب بخطاب التوحيد.

فمن الواضح أن ألفاظ الخطاب القرآني تتماسك بشكل يشد بعضها بعضا؛ لتتآخى جرسا وإيقاعا، إذ يستحيل الاستغناء عن كلمة من الآيات دون

الإخلال بالمعنى؛ لأن الكلمات في القرآن مختارة لمغزى يقصد الخطاب إبلاغه، حيث أن الخطاب في القرآن يأتي بصياغة مقصودة، وحروف مُحكمة؛ تؤدي جرسا وإيقاعا دقيقا، لا يتم المعنى إلا بها، وهذه خصيصة من خصائص الخطاب القرآني.

ثانياً: تناسق النظم

النظم أكثر ما يؤثر في المتلقي، ويجذب في خطاب الوعظ القرآني، فلو نظرنا إلى الثلاث عشرة مرة التي ذكرت فيها الموعظة في القرآن لوجدنا أنها أتت بمشتقات مختلفة لتناسب سياق الآية، ببراعة منقطعة النظير في تناسق النظم.

وفى ضوء ذلك فقد فاق جميع أنواع النظم البلاغي، لأن الكلمة تحسن في موطن وتتألق؛ في حين تظهر شوهاء شنيعة في موقع، إذ تجد لفظة واحدة في آية من القرآن؛ وفي بيت من الشعر؛ أتت في القرآن جزلة متينة، وفي البيت الشعري ركيكة ضعيفة، مثل خطاب الله لصحابة الرسول، (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ) الأحزاب: ٥٣، فلو قابلناه ببيت المتنبي:

تَلَذّ لهُ المُروءَةُ وهيَ تُؤذي ومَنْ يَعشَقْ يَلَذّ لهُ الغَرامُ

لوجدنا الفرق شاسعًا والبون عظيمًا، فهذا البيت من أبيات المعاني الشريفة؛ إلا أن لفظة (تؤذي) جاءت فيه وفي الآية من القرآن، فحطت من قدر البيت لضعف تركيبها، عكس تركيب الآية؛ الذي وافق فيه اللفظ غرض الخطاب، ذلك أن لفظة (تؤذي) إذا جاءت في الكلام ينبغي أن تكون مندرجة مع ما يأتي بعدها متعلقة به كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ ﴾، لا كما جاءت في قول المتنبي:

تَلَذّ لهُ المُروءَةُ وهيَ تُؤذي ومَنْ يَعشَقْ يَلَذّ لهُ الغَرامُ[١].

ومن هذا المنطلق فقد تفوق الخطاب الدعوي القرآني بنظمه على أعذب الشعر وأكثره بهاءً ورونقا وجزالة، فهو كما قال الرماني: "أتى بطريقة مفردة خارجة عن العادة، لها منزلة في الحسن تفوق به كل طريقة"[٢].

ثالثًا: دقة الفواصل:

لا يخفى على أحد أهمية الفواصل في النظم العربي أي كان نوعه، وما تضفيه على النص من رونق وجمال، وقد لفت الزركشي النظر إلى ذلك في الخطاب القرآني فقال: يُذيِّل الخطاب القرآني بفواصل تمنحه طابعا خاصا مميزا، هذه الفواصل ترتبط ارتباطا وثيقا ودقيقا بالمعاني، ولذلك دور عظيم "فالفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، توجب حسن إفهام المعاني"[٣].

ولعل من المناسب أن نذكر بأنها بخلاف قوافي الشعر وباقي أنواع الخطاب المؤثر؛ التي تتماثل في الحرف الأخير، حيث نلاحظ هذا بكثرة في الخطاب المَكِّي، والذي ترتبط فيه الفاصلة بما قبلها من الآية، وهذا ما يسمى بالتصدير، أو ما يسميه البلاغيون رد الأعجاز على الصدور[٤]، أو تدل على معنى قبلها، كما في قول الله: ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ (يس:٣٦).

وهنا لابد من بيان أن كلمة مظلمون دلت على انسلاخ النهار من الليل، وقد تُمهد الآية بمعنى يناسب الفاصلة، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ يس: آية١٥.

١- ابن الأثير، المثل السائر، ١/ ١٤٥-١٤٦ - بتصرف.-

٢- الرماني، النكت في إعجاز القرآن، المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، ط٣، دار المعارف بمصر، ١٩٧٦م، ص: ١٠٢.

٣- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/ ٥٣.

٤- المرجع السابق، ٧٨/١.

فتبليغ الرسالة أثار في الذهن وظيفة مهمة وهي الإبلاغ؛ لذا جاءت الفاصلة بالبلاغ المبين، ويسمى هذا تمكينا[١].

وتجدر الإشارة إلى أنه يمكن أن تأتي الآية بمعنى تام، ثم تزيد الفاصلة هذا المعنى كقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ النمل، آية:٨٠، وهذا يسمى إيغالا[٢]، فالفاصلة أوغلت في التعبير عن التولي، وبالغت في تصوير الإعراض، وهذا غرض الخطاب في هذا المقام.

١- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/ ٧٨.

٢- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٢/٩٦.

الخاتمة

يستمد هذا البحث أهميته من أهمية الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم الذي أعجز أهل البيان وقد اتضح ذلك في ثنايا البحث من خلال عرض الإعجاز البلاغي لبعض الآيات التي قمنا بالاستدلال بها، فقد اتضح من خلال صفحات البحث أن الإعجاز البلاغي في الموعظة السمية في الآيات القرآنية يتمثل في أبهى صورة ويتجلى في كل ما يتعلق بآيات الترغيب والترهيب سواء كانت مستقلة أو مجتمعة.

وقد حاولت جاهدةً تسليط الضوء على الخصائص البلاغية للموعظة السمية في بعض آيات القرآن الكريم وعلى رأسها آيات الترغيب والترهيب، وذلك لأهميتها لإظهار الإعجاز البلاغي للخطاب الوعظي في القرآن؛ لأخذ العبرة والموعظة الحسنة، ومن ثم فإن آيات القران الكريم خاصة التي ترتبط بالترغيب والترغيب والوعظ والتذكير، تتطلب منا الوقوف بتأنٍّ وتمعن؛ لاستخراج الصور البلاغية والوقوف على إعجازها البلاغي وأثره في نفس المتلقي.

وقد اتضح من خلال صفحات البحث أن هناك مجموعة من العناصر قد تساعد بشكل كبير في بلوغ الموعظة لوجه الكمال البلاغي، منها على سبيل المثال لا الحصر: "اللين في الخطاب والشفقة في النصح، ومن ثَمَّ عندما نستعرض آية بها موعظة في القرآن الكريم ينبغي أن نتناول الأساليب البلاغية الواردة بها؛ وذلك للتعرف على مضمونها وبيان معانيها حتى يتسنى لنا الوقوف على المعنى الحقيقي لها في ظل الأسلوب البلاغي.

وذلك لأن القرآن الكريم كتاب الله وحجته الباقية الدامغة الذي اشتمل على كل ألوان الإعجاز وعلى رأسها الإعجاز البلاغي، وقد جعل الله سبحانه وتعالى القرآن منهج حياة؛ لذلك اشتمل على الوعظ والإرشاد وأولاهما المنزلة الكبرى، فكان لابد أن تأتي صورة الوعظ في قمة البلاغة والبيان، وكسا الله سبحانه وتعالى الموعظة بكل ألوان البلاغة، في آيات القرآن الكريم المتفرقة

سواء كانت ترغيبًا أو ترهيبًا، منها: جزالة اللفظ بما فيه من التنوع اللفظي والتنوع البياني، وكذلك براعة النظم، وجعلها كذلك بين دفتي الترغيب والترهيب، وزين سبحانه وتعالى آيات الترغيب والترهيب بأجل الصور البلاغية أمثال المقابلات، والاستعارات، سواء أتى الترغيب والترهيب في آية واحدة أو آيتين أو في العديد من الآيات.

وقد بين الباحث من خلال صفحات البحث أنه ما من ترغيبٍ في القرآن الكريم، متمثلاً في الأقوال أو الأفعال إلا ويفوح بكل الصور البلاغية التي تظهر براعة اللغة وإعجاز القرآن الكريم البلاغي، وكذلك كل الآيات التي تحتوي على ألوان الترهيب المختلفة، ووردت بالبحث العديد من الأمثلة التي توضح مكانة الموعظة السمية وتنمقها وتألقها البلاغي في آيات الذكر الحكيم.

النتائج

بحمد لله الباري ونعمة منه وفضل، نضع قطراتنا الأخيرة بعد رحلة شاقة وشيقة، بعد هذا المشوار الشائك الشائق بين ثنايا البحث، وروده وأشواكه، وفي رحاب رياضه ومفاوزه، أضع عصا الترحال لأسجل النتائج التالية:

١) أن القرآن الكريم كتاب الله وحجته الباقية الدامغة الذي اشتمل على كل ألوان الإعجاز وعلى رأسها الإعجاز البلاغي.

٢) أن الله سبحانه وتعالى جعل القرآن منهج حياة لذلك اشتمل على الوعظ والإرشاد وأولاهما المنزلة الكبرى فكان لابد أن تأتي صورة الوعظ في قمة البلاغة والبيان.

٣) كسا الله سبحانه وتعالى الموعظة بكل ألوان البلاغة، في آيات القرآن الكريم المتفرقة سواء كانت ترغيبًا أو ترهيبًا.

٤) عظم شأن الموعظة السمية في القرآن الكريم.

٥)أنه سبحانه خص الموعظة في القرآن بخصائص بلاغية متعددة، منها جزالة اللفظ بما فيه من التنوع اللفظي والتنوع البياني، وكذلك براعة النظم.

٦)زين أن الله سبحانه وتعالى آيات الترغيب والترهيب بأجل الصورة البلاغية أمثال المقابلات، والاستعارات، سواء أتى الترغيب والترهيب في آية واحدة أو آيتين أو في العديد من الآيات.

٧)ما من ترغيبٍ في القرآن الكريم في أقوال أو أفعال إلا وهو يفوح بكل ألوان البلاغة، وكذلك كل الآيات التي تحتوي على ألوان الترهيب المختلفة.

٨)وأخيرا أهمية دراسة البلاغة لفهم مقاصد آيات الذكر الحكيم خاصة المتعلقة المجال الدعوي ترغيبًا وترهيبا.

التوصيات

بقي أن أضع بين أيدي من يقرأ بحثي هذا شيئًا من التوصيات علها تجد آذانًا صاغية، وقلوبًا مفتوحة، وأنفسًا غيورة على هذا الدين العظيم فأقول:

١.أوصي نفسي وأوصي الجميع بتدبر آيات القرآن الكريم من جميع جوانبها.

٢.الاهتمام بعلم البلاغة لكشف أسرار القرآن الكريم.

٣.النظر إلى آيات الوعظ وخاصة المتعلقة بالترغيب والترهيب من منظور بلاغي بجانب المنظور التفسيري.

٤.التركيز على الجانب البلاغي للقرآن الكريم في الأطروحات البحثية.

٥. تدريس بعض الصور الوعظ في مراحل التعليم المختلفة من الجانب البلاغي فقط.

قائمة المراجع

١. إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبي الفداء: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الناشر: دار طيبة، سنة النشر:١٤٢٠ه- ١٩٩٩م.

٢. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠١م.

٣. أحمد بن محمد بن علي الفيومي: المصباح المنير، تحقيق: يحيى مراد، الناشر: مؤسسة المختار، الطبعة الأولى، مصر، ٢٠٠٨م.

٤. أحمد علوش، الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، ط١، دار الكتب لبنان، بيروت، ١٩٨٧م.

٥. البغوي، أبي محمد الحسين بن مسعود ، تفسير البغوي (معالم التنزيل). ط ١، دار ابن حزم، بيروت–لبنان، ١٤٢٣ ه- ٢٠٠٢ م.

٦. البيضاوي، تفسير البيضاوي، دار الفكر، بيروت.

٧. الثعالبي، أبو منصور، الاقتباس من القرآن الكريم، ط ١، مطبعة جامعة. بغداد، ١٩٧٣ م.

٨. الجاحظ، البيان والتبيين، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: ١٤٢٣ هـ

٩. الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥ه.

١٠. الجوهري: الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للماليين – بيروت، الطبعة الرابعة، سنة النشر: ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.

١١. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي و د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

١٢. الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، الناشر: دار القلم – الدار الشامية.

١٣. الرماني، النكت في إعجاز القرآن، المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، ط٣، دار المعارف بمصر، ١٩٧٦م

١٤. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، أعوام النشر: ١٣٨٥ – ١٤٢٢ هـ= ١٩٦٥ – ٢٠٠١ م.
١٥. الزركشي: البحر المحيط في أصول الفقه؛ الناشر: دار الكتبي، الطبعة الأولى، سنة النشر:١٤١٤هـ– ١٩٩٤م.
١٦. الزرعي، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر،١٣٩٩هـ– ١٩٧٩م.
١٧. الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل؛ الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، سنة النشر: ١٤٠٧هـ.
١٨. السّكّاكي، مفتاح العلوم. مفتاح العلوم، المحقق: نعيم زرزور،سنة النشر: ١٤٠٧ – ١٩٨٧م
١٩. السعدي، تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.
٢٠. السيوطي، عبد الرحمن بن جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ط ١، دار الفكر، بيروت–لبنان، ١٤٠٣ ه– ١٩٨٣م
٢١. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
٢٢. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، ط ١، المكتبة العصرية، صيدا–بيروت، ١٤١٨ه– ١٩٩٧م.
٢٣. الشوكاني، فتح القدير، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤هـ.
٢٤. الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم بيروت.
٢٥. الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الناشر: الدار التونسية–تونس، الطبعة الأولى، سنة النشر:١٩٨٤م.

٢٦. الطبري، لأبي جعفر بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، هذبه: د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، خرج أحاديثه: إبراهيم محمد العلي، ط ١، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، ١٤١٨ه- ١٩٩٧م.
٢٧. العسكري أبو هلال، الصناعتين الكتابة والشعر، المحقق: علي محمد البجاوي- محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: عيسى البابي الحلبي، سنة النشر: ١٣٧١ه- ١٩٥٢م.
٢٨. القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، د. ط ، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ١٤٠٥ه- ١٩٨٥م.
٢٩. المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
٣٠. المراغي، تفسير المراغي، ط ٣، دار الفكر- . بيروت، ١٣٩٤ه/ م١٩٧٤م.
٣١. المراغي، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، الناشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان، سنة:١٩٩٣م.
٣٢. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.
٣٣. المورعي، الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة، جامعة أم القرى،١٤٠٦ه
٣٤. جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة النشر:١٤١٤ه
٣٥. زياد العاني، أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية جامعة بغداد، ١٩٩٥م.
٣٦. سعيد علي وهف القحطاني، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، ط٤، توزيع مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض،١٤٢٥ه
٣٧. سيد قطب، في ظلال القرآن، ط ٧، دار الشروق، بيروت، لبنان، ١٣٩٨ه- ١٩٧٨م.
٣٨. فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ط٣، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٢٠هـ.

٣٩. شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم، التفسير القيم، جمعه: محمد أويس الندوي، تحقيق محمد الفقي، ط ٢، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٢٣ هـ.
٤٠. شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم، بدائع الفوائد، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
٤١. شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، المحقق: إسماعيل بن غازي، الناشر: مجمع الفقه الإسلامي بجدة، سنة النشر: ١٤٢٩ه.
٤٢. شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم، مدارج السالكين، دار علم الفوائد، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي، سنة النشر: ١٤٢٣ – ٢٠٠٣م.
٤٣. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، فقه الدعوة إلى الله، ط٢،: الناشر: دار القلم، دمشق، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
٤٤. عبدالرحيم محمد المغذوي، الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، ط٢، الناشر: دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٣١ه
٤٥. عبد العزيز بن باز، الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، د.ط، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٢ه- ١٩٨٢م.
٤٦. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، الناشر: مكتبة وهبة،ط١، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م.
٤٧. عبدالكريم زيدان، أصول الدعوة، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ، ١٣٩٥ه – ١٩٧٥م.
٤٨. عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ويليه الفلك الدائر على الأدب الثائر، المحقق: أحمد الحوفي – بدوي طبانة، الناشر: دار نهضة مصر، بدون سنة نشر.
٤٩. عمر عبيد حسنة، مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، ط ١، المعهد العالي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٤١٢ه- ١٩٩١م.

٥٠. علاء الدين عبد العزيز أحمد البخاري، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، تحقيق: عبد الله علي محفوظ، هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، ط٧، الناشر: مصر للطباعة، ١٣٩٥هـ.
٥١. كفايت همداني، الترغيب والترهيب في السياق القرآني، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور- باكستان، العدد الثاني والعشرون، ٢٠١٥ م.
٥٢. محمد السائح، إعجاز القرآن، دعوة الحق، مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر، عدد٧، أبريل١٩٥٩م.
٥٣. محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ /١٩٩٥م
٥٤. محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير، دار المعرفة، الطبعة الرابعة ١٤٢٨ه -٢٠٠٧م.
٥٥. محمد بن منظور بن منظور، لسان العرب، ط٣، الناشر: دار صادر – بيروت، ١٤١٤ه.
٥٦. محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت
٥٧. محمد خير يوسف، الدعوة الإسلامية، مفهومها وحاجة المجتمعات إليها،. ط ٢ ، دار طويق للنشر والتوزيع، الرياض،١٤١٤ه.
٥٨. محمد رشيد علي رضا، تفسير المنار، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.
٥٩. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
٦٠. محمود محمد عمر، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧م.

فهرس الموضوعات

م	الموضـوع	الصفحة
١-	ملخص	٢٦٤١
٢-	Abstract	٢٦٤٣
٣-	مقدمة	٢٦٤٥
٤-	تمهيد	٢٦٥٠
٥-	المبحث الأول: الموعظة السمية في آيات الترغيب	٢٦٥٦
٦-	المطلب الأول: الترغيب في أعمال القلوب.	٢٦٥٧
٧-	المطلب الثاني: الترغيب في الأعمال والأقوال الصالحة.	٢٦٧٦
٨-	المبحث الثاني: الموعظة السَّميَّة في آيات الترهيب	٢٦٩١
٩-	المطلب الأول: الترهيب من بعض المعاصي المتعلقة بالقلوب.	٢٦٩٢
١٠-	المطلب الثاني: الترهيب من تناول الحرام وأهوال النار.	٢٧٠٠
١١-	المبحث الثالث: العلاقة البلاغية بالموعظة السمية	٢٧١٠
١٢-	المبحث الرابع: الخصائص اللغوية والبلاغية للموعظة في القرآن الكريم	٢٧٢٠
١٣-	المطلب الأول: جزالة اللفظ.	٢٧٢٠
١٤-	المطلب الثاني: براعة النظم.	٢٧٢٥
١٥-	الخاتمة	٢٧٢٩
١٦-	قائمة المراجع	٢٧٣٢
١٧-	فهرس الموضوعات	٢٧٣٧